آزوف والصراع بين القوى السياسية خلال القرن السابع عشر

د. أميرة السعيد الطنطاوي محمد
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
كلية التربية جامعة الإسكندرية
amira.eltantawy@alexu.edu.eg

ملخص

تُعد مدينة آزوف من أهم الولايات التي حرصت الدولة العثمانية على دعم تحصيناتها العسكرية، وإرساء قواعد الأمن والاستقرار فيها، وقد شهد القرن السابع عشر الميلادي بروز بعض القوى السياسية في المنطقة شمال البحر الأسود كان أهمها القوزاق ولاسيما قوزاق الدون الذين صوبوا هجماتهم المتتالية على الولايات العثمانية مهددين أمنها وسلامتها، وكانت آزوف في مقدمة هذه الولايات لأهميتها الاستراتيجية الواضحة؛ ولهذا حاول قوزاق الدون انتزاعها من أيدي العثمانيين ونجحوا في مطلبهم عام ١٦٣٧م؛ بسبب الأوضاع غير المستقرة التي عانت منها الدولة العثمانية على المستويين الداخلي والخارجي؛ فقد كثرت الثورات المحلية ضد الحكم العثماني بالإضافة إلى تنامي الخطر الصفوي، وبعد انتهاء الحرب ضد الصفويين عام ١٦٣٩م أعاد العثمانيون تنظيم قواتهم، ونجحوا –بعد محاولات قاسية – في استرداد آزوف عام ١٦٤٢م، ومع ذلك لم تَسلم المدينة من هجمات القوزاق بين الحين والآخر، كان أشدها هجمات قوزاق الدون عام ١٦٤٦م، لكن قوات القرم نجحت في التصدي لهم وأجبرتهم على التراجع. ثم يأتي النصف الثاني من القرن السابع عشر ليشهد تغيرا واضحا في الوضع السياسي على سواحل البحر الأسود؛ فقد ترتب على الحرب الروسية البولندية عام ١٦٥٤م استعادة الروس لمدينة سمولينسك في العام نفسه، الأمر الذي أمن حدود روسيا الجنوبية، ودفعها إلى تبني سياسة نشطة تجاه البحر الأسود بصفة عامة، وآزوف بصورة خاصة، ومن أجل إخضاعها للسيادة الروسية أعد بطرس الأول (١٦٨٩–١٧٢٥) حملته الأولى عام ١٦٩٥م لإسقاط آزوف لكنه فشل في مبتغاه، فأردفها بحملة ثانية في العام التالي ترتب عليها إسقاط المدينة، وحقق الروس لأول مرة نصرا حقيقيا ضد الدولة العثمانية، تغيرت على إثره طبيعة العلاقات بين الجانبين.

الكلمات المفتاحية: آزوف، الدولة العثمانية، روسيا، القوزاق، القرن السابع عشر.

Azov and the conflict between political forces during the seventeenth century

Abstract

The city of Azov is one of the most important regions where the Ottoman Empire was keen on supporting its military fortifications and establishing security and stability. In the seventeenth century, some political forces emerged in the region north of the Black Sea, the most significant of which were the Cossacks, particularly the Don Cossacks. They directed their successive attacks on the Ottoman states, threatening their security and safety. Azov was at the forefront of these states due to its strategic importance. The Don Cossacks attempted to wrest it from the hands of the Ottomans, and they succeeded in their demand in general because of the unstable conditions that the Ottoman Empire suffered from, both internally and externally. Local revolts against Ottoman rule multiplied, in addition to the growing Safavid danger. After the end of the war against the Safavids in 1639, the Ottomans reorganized their forces and succeeded, after harsh attempts, in retrieving Azov in general. However, the city was not spared from Cossack attacks from time to time, the most severe of which was the Don Cossack attacks in 1646, but the Crimean forces confronted them and forced them to retreat. The second half of the seventeenth century witnessed a clear change in the political situation on the coasts of the Black Sea. As a result of the Russian-Polish war in 1654, Russia regained the city of Smolensk in the

same year, which secured Russia's southern borders and prompted it to adopt an active policy towards the Black Sea in general, and Azov in particular. In order to subject it to Russian sovereignty, Peter the Great (1689-1725) prepared his first campaign in 1695 to overthrow Azov, but he failed in his goal. He followed it up with a second campaign the following year, which resulted in the overthrow of Azov and the Russians achieving their first real victory against the Ottoman Empire. As a result, the nature of relations between the two sides changed.

key words: Azov, Ottoman Empire, Russia, Cossacks, seventeenth century.

مقدمة

احتلت آزوف مركزا مهما بين الولايات العثمانية منذ إحكام العثمانيون قبضتهم على المدينة عام ١٤٧٥م كجزء من خطتهم للسيطرة على مدن البحر الأسود الواحدة تلو الأخرى، ثم تحول هذا البحر إلى بحيرة عثمانية خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر، وعلى الرغم من اهتمام العثمانيين بتحصين آزوف، وتقوية استحكاماتها فلم تختزل أهميتها في الناحية العسكرية فحسب، بل كانت لها أهميتها الاقتصادية والتجارية والاستخباراتية التي دفعت السلاطين العثمانيين إلى الاهتمام بأمن المدينة وسلامتها، وقد ظهر ذلك بصورة جلية خلال القرن السابع عشر؛ نظرا لتزايد هجمات القوزاق على آزوف، وحرصهم على انتزاعها من أيدي العثمانيين واتخاذهم ذلك ذريعة لزيادة نفوذهم على سواحل نهر الدون وشمال البحر الأسود، ثم تصويب روسيا هجماتها المتتالية على آزوف خلال تسعينيات القرن السابع عشر؛ للسيطرة على المدينة التي تعد بمثابة "مفتاح" البحر الأسود، وقد نجحوا للمرة الأولى في عام ١٦٩٦م في تحقيق نصر قوي ضد الدولة العثمانية بانتزاع آزوف من أيدي العثمانيين، وما ترتب على ذلك من تداعيات للصراع الروسي العثماني لازالت تؤثر على الأحداث الدولية حتى الوقت الحالي.

- **أهداف البحث وتساؤلاته**

يهدف البحث إلى دراسة دور آزوف في الصراع بين القوى السياسية الكبرى المتمثلة في الدولة العثمانية صاحبة السيادة على المدينة من ناحية، والقوزاق ثم الروس من ناحية أخرى خلال القرن السابع عشر من خلال طرح مجموعة من التساؤلات وهي:

١. ما الأهمية الاستراتيجية لآزوف خلال القرن السابع عشر؟
٢. لماذا تعرضت آزوف لهجمات متتالية من قبل القوزاق ولاسيما قوزاق الدون خلال القرن السابع عشر؟
٣. ما موقف روسيا من سيطرة قوزاق الدون على آزوف عام ١٦٣٧م؟
٤. لماذا رفضت روسيا تنازل قوزاق الدون لها عن آزوف عام ١٦٤٢م؟
٥. ما الجهود التي بذلتها الدولة العثمانية لاستعادة آزوف عام ١٦٤٢م؟
٦. ما دوافع بطرس الأول للسيطرة على آزوف خلال حملتي (١٦٩٥-١٦٩٦م)؟
٧. ما المكاسب التي حققتها روسيا بسبب سيطرتها على آزوف عام ١٦٩٦م؟

- **محاور البحث**

ينقسم البحث موضوع الدراسة إلى أربعة محاور رئيسة، أشرت في المحور الأول إلى الأهمية التاريخية لموقع آزوف الجغرافي، وأنها تعد امتدادا تاريخيا لمستعمرة تانا Tana القديمة التي لعبت دورا بارزا في تاريخ المنطقة على سواحل نهر الدون منذ أقدم العصور، وأوضحت في المحور الثاني الأهمية الاستراتيجية لآزوف خلال القرن السابع عشر، وكيف لعبت المدينة دورا مهما بالنسبة للدولة العثمانية على مختلف الأصعدة السياسية، والاقتصادية والاستخباراتية، ثم عرضت في المحور الثالث الصراع بين القوزاق والعثمانيين من أجل السيطرة على آزوف، وكيف نجح قوزاق الدون في السيطرة على المدينة عام ١٦٣٧م وأثر ذلك على الدولة العثمانية، وجاء المحور الرابع ليُفَصِل محاولات بطرس الأول للسيطرة على آزوف، وذلك عقب التغيرات السياسية التي شهدتها روسيا خلال الثمانينيات من القرن السابع عشر، وقيادته لحملتين من أجل إسقاط المدينة خلال عامي ١٦٩٥- ١٦٩٦م، وكيفية الإعداد لهذه الحملات وتقييم مدى نجاحها في إيجاد موطأ قدم للروس على سواحل البحر الأسود.

- **الدراسات السابقة**

يأتي في مقدمتها مقال آلان فيشرAlan Fisher المعنون بـ: Azov in the Sixteenth and Seventeenth Centuries[1] الذي ركز فيه على عرض الأهمية التجارية لآزوف خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، كما أورد أندرو جانكو Andrew

Janco في ورقته البحثية التي نشرها تحت عنوان Training in The Amusements of Mars: Peter The Great, War Games and The Science of War 1673-1699 [٢] معلومات مهمة عن كيفية إعداد بطرس الأول لحملتيه على آزوف خلال عامي ١٦٩٥-١٦٩٦م، بالإضافة إلى الورقة البحثية التي نشرها سِنان يوكسل Sinan YÜKSEL باللغة التركية تحت عنوان Don Kazaklarının Azak'ı İşgalleri (1637-1642)[٣] التي عرض فيها لغزو قوزاق الدون لآزوف خلال الفترة من عام ١٦٣٧ حتى ١٦٤٢م، ويتضح من ذلك ندرة الدراسات العربية التي تناولت تاريخ آزوف خلال القرن السابع عشر بالدراسة والتحليل وهو ما حاولت هذه الدراسة تناوله.

- **مصادر البحث**

اعتمد البحث على الوثائق العثمانية المنشورة باللغة التركية على موقع أرشيف الدولة Devlet Arşivleri التركي، واعتمدت بصورة أساسية على مجموعتين أرشيفيتين، **الأولى** هي: المديرية العامة لأرشيف الدولة DEVLET ARŞİVLERİ GENEL MÜDÜRLÜĞÜ، قسم المحفوظات العثمانية Osmanlı Arşivi Daire Başkanlığı، التي اشتملت على سجلات الديوان الهمايوني، **والثانية** هي: أرشيف رئاسة الدولة Devlet Arşivleri Başkanlığı، وقد قمت بترجمة هذه الوثائق التي أوضحت مدى أهمية سيطرة الدولة العثمانية على آزوف، وحِرص السلاطين العثمانيين على تأمين المدينة وحمايتها، ويلاحظ أن الوثائق العثمانية أحيانا ما كانت تخلط بين القوزاق وبين الروس؛ ربما يرجع ذلك إلى طبيعة العلاقة الوطيدة التي ربطت القوزاق بالروس حتى مع وجودهم خارج الأراضي الروسية، كذلك اعتمد البحث على بعض المصادر الروسية أهمها ما كتبه فاسيلي جريجوريفيتش روبان Vasily Grigorievich Ruban (١٧٤٢-١٧٩٥) بعنوان: Поход боярина и большаго полку воеводы Алексея Семеновича Шеина к Азову, взятие сего и Лютика города и торжественное оттуды с победоносным воинством возвращение в Москву : С подробным описанием всех военнных и торжественных произшествий и с имянным списком бывших при том: сухопутных и морских, великороссийских и

малороссийских, вышних и нижних военачальников числе всех войск и учиненным оным наград (حملة البوبار والفوج الكبير من فويفود أليكسي سيمينوفيتش شين إلى آزوف، والاستيلاء على هذه المدينة والعودة الجليلة إلى موسكو من هناك بالجيش المنتصر: الروس الصغار، القادة العسكريون الأعلى والأدنى بين جميع القوات والجوائز الممنوحة لهم)، المنشور في سان بطرسبرج Saint Petersburg عام ١٧٧٣م، وقد عرض فيه روبان وصفا يوميا مفصلا لأوضاع القوات الروسية المشاركة في حملة آزوف الثانية، وقيم الدور الذي قامت به هذه القوات التي تمكنت من إسقاط المدينة، ثم عودتهم منتصرين إلى بلادهم مع ذكر المكافآت التي حصلوا عليها، كما اعتمد البحث على مصدر مهم أعده قائد المشاة الروسي بافيل أوسيبوفيتش بوبروفسكي Pavel Osipovich Bobrovsky (١٨٣٢-١٩٠٥) تحت عنوان: История Лейб-гвардии Преображенского полка (تاريخ فوج حراس الحياة بريوبرازينسكي)، الذي نُشِرَ في سان بطرسبرج عام ١٩٠٠م وقد استفاد منه البحث فائدة كبيرة؛ وذلك لأن فوج حراس الحياة Preobrazhensky منذ أن تأسس عام ١٦٨٣م أولاه به بطرس الأول اهتماما بالغا، وكان من أهم وحدات الجيش الروسي التي شاركت في حصار آزوف خلال الفترة (١٦٩٥-١٦٩٦)، وقد عني القائد الروسي بوبروفسكي بأرشيف هذا الفوج؛ ونظم ملفاته ووثائقه، وأرخ له في مجلدين كاملين ألحق بهما مجلدين آخرين للملحقات التي شملت الصور والمخططات والخرائط ونسخ من رسائل بطرس الأول ولاسيما رسائله إلى والدته، وقد قمت بترجمة المصدرين من اللغة الروسية، ونشرت بعض المخططات والصور التي أوردها بوبروفسكي في ملاحق هذه الدراسة، كما اعتمد البحث على بعض المراجع والدوريات الإنجليزية والفرنسية والروسية والتركية.

أولا: الموقع الجغرافي لآزوف وأهميتها التاريخية حتى القرن السابع عشر.

تقع آزوف على الضفة اليسرى لنهر الدون Don على بعد ستة عشرة كيلو مترا من بحر آزوف[٤]، ومنذ العصور القديمة كان مصب نهر الدون مركزا تجاريا مهما؛ فقد أسس اليونانيون منذ القرن الثالث قبل الميلاد بالقرب من موقع آزوف الحالي مستعمرة أطلقوا عليها اسم "تانا"[٥] اشتهرت بأهميتها التجارية، وقد حرصت القوى السياسية المتعاقبة التي بسطت نفوذها على المنطقة شمال البحر الأسود من إحكام سيطرتها على هذه المستعمرة[٦].

في بداية القرن الثالث عشر الميلادي تدفق التجار البنادقة إلى البحر الأسود بأعداد كبيرة، وفي عام ١٢٠٤م في موقع آزوف الحالي أعادوا إحياء مستعمرة "تانا" وحاولوا إنعاشها

تجاريا، ومع سيطرة المغول على سواحل البحر الأسود، والتوحيد السياسي لأوراسيا تحت الحكم المغولي منذ أربعينيات القرن الثالث عشر الميلادي ازدادت أهمية "تانا" كأحد أهم المراكز التجارية التي اشتهرت بتجارة العبيد الذين صدروا إلى أوروبا الغربية، وإلى مستعمرات البندقية الزراعية المختلفة في شرق البحر المتوسط ولاسيما جزيرة كريت، وإلى دولة المماليك في مصر والشام، وفي القرن الرابع عشر الميلادي برزت أهميتها السياسية؛ فقد أصبحت "تانا" المركز الرئيسي للاتصالات الدبلوماسية بين مغول القبيلة الذهبية والمماليك، كما خدمت مسئولي الكنيسة الروسية عند السفر من وإلى القسطنطينية؛ وقد وصف بيمين Pimen مطران موسكو (١٣٨٢-١٣٨٤) "تانا" بأنها "غنية جدا ومذهلة"[٧].

مع تأجج الصراع بين مغول القبيلة الذهبية وتيمورلنك Tamerlane(١٣٣٦-١٤٠٥) أراد الأخير حرمان أعدائه من الأموال المتدفقة عليهم من "تانا"؛ فوجه ضرباته إليها عام ١٣٩٥م فأصيبت المدينة بأضرار جسيمة، ودمرت جدرانها بالكامل، وعلى الرغم من جهود البنادقة لإعادة الاستقرار إلى المدينة وإنعاشها تجاريا من جديد لكن هذا لم يحدث بشكل كاف؛ فقد كانت هناك حالة من انعدام الأمن العام ظهرت عقب هجمات تيمورلنك على سواحل البحر الأسود دفعت التجار إلى التقاعس عن التجارة، ومنعتهم من السفر لمسافات طويلة[٨].

هدف السلطان العثماني محمد الثاني (١٤٥١-١٤٨١) إلى إخضاع سواحل البحر الأسود للسيطرة العثمانية؛ فكلف الصدر الأعظم كديك أحمد باشا Gedik Ahmed Pasha (١٤٧٤-١٤٧٧) للقيام بهذه المهمة، وقد نجح بالفعل في إسقاط مدنه واحدة تلو الأخرى، وفي يونيو عام ١٤٧٥م خضعت "تانا" للسيادة العثمانية[٩]، وقد أعاد العثمانيون للمدينة اسم "آزوف" أو "آزاك" Azak كما يطلق عليها في الوثائق العثمانية، واهتموا بتحصيناتها؛ فأسسوا فيها قلعة ضخمة تضمنت أحد عشر برجا، وأحاطوها بخندق وأسوار ضخمة، وقد زودت حامية القلعة بمائتي مدفع[١٠].

ثانيا: أهمية آزوف الاستراتيجية خلال القرن السابع عشر الميلادي

اختلف المؤرخون حول أهمية سيطرة الدولة العثمانية على آزوف، فيرى بعضهم أن آزوف كانت لها أهميتها العسكرية الواضحة؛ فقد كانت بمثابة حصنا تمثلت وظيفته الأساسية في الدفاع عن الحدود الشمالية العثمانية، ومن كونه نقطة انطلاق للغزوات العسكرية ضد الأراضي الروسية في الشمال[١١]، في حين يذكر آخرون أن الأهمية الكبرى لآزوف جاءت من كونها مركزا

تجاريا كبيرا، وكأحد الآثار الجانبية لتجارتها كانت ملتقى لممثلي الحكومتين العثمانية والروسية والذين كانت مهمتهم تنظيم التجارة وتسهيلها، ولم يكن الهدف من الوجود العسكري العثماني في آزوف أن يلعب دورا في المخططات السياسية العثمانية ضد الشمال، ولكن لتوفير الحماية للأنشطة الاقتصادية والدبلوماسية الجارية في آزوف(١٢).

يمكن ترجيح الرأي الثاني والقول بأن الأهمية التجارية لآزوف حتى منتصف القرن السابع عشر فاقت أهميتها العسكرية، فيستدل من الوثائق العثمانية اعتماد الأستانة بصورة أساسية على آزوف في الحصول على الإمدادات الغذائية من الحبوب (القمح والشعير)، والبقوليات، والزبد، والملح، والعسل، والأسماك والتوابل، ولهذا فإن أي تهديد خارجي تعرضت له آزوف كان له تداعياته الفورية على الوضع الغذائي في الأستانة(١٣)، هذا إلى جانب الأخشاب اللازمة لبناء السفن والتي أشارت الوثائق العثمانية بأنها كانت تأتي من آزوف بكميات كبيرة(١٤)، كذلك فبالنسبة لأهمية آزوف العسكرية خلال القرن السابع عشر لم تأت من كونها نقطة انطلاق للغزوات العسكرية ضد روسيا؛ وذلك لأن الحكام الروس حتى عهد بطرس الأول حرصوا – لأسباب متعددة– على تأكيد العلاقات السلمية التي تربطهم بالدولة العثمانية، فكانت مهمة الحامية العسكرية المرابطة في آزوف هي الدفاع عن الأراضي العثمانية ضد غارات القوزاق(١٥)، كذلك فقد كان لآزوف أهميتها الاستخباراتية فكما أطلق عليها المؤرخ الروسي أندريه جيفوجيفسكي Andrii Zhyvachivskyi بأنها "أذن السلطان وعينه"، ومصدر معلومات الدولة العثمانية عن الأوضاع في روسيا، وعن قوزاق الدون دائمي الإغارة على الممتلكات العثمانية(١٦)، وهو ما أكدته الوثائق العثمانية التي جاء فيها بأنه على والي آزوف الاستمرار في إرسال المعلومات بشأن أحوال القوزاق(١٧).

ثالثا: غزو قوزاق الدون لآزوف (١٦٣٧–١٦٤٢)

عقب سقوط مغول القبيلة الذهبية عام ١٤٨٠م نزحت أعداد من الروس الساخطين على النظام الاجتماعي السائد في روسيا آنذاك، والذين لم يعترفوا بسلطة الإقطاعين، بالإضافة إلى بعض الأقنان الهاربين، وغيرهم ممن ينشدون الحرية إلى الاستقرار في المناطق المحيطة بنهر الدون، وكانت هذه العناصر بعيدة كل البعد عن الانضباط، وفي بداية إقامتهم على ضفاف الدون كثيرا ما كانوا يلجئون إلى السرقة والنهب لتوفير أقواتهم، مما أدخلهم في صراعات مستمرة مع تتار القرم والعثمانيين فتحولوا على إثرِ ذلك إلى محاربين ماهرين، وقد أطلقت عليهم الوثائق

العثمانية اسم "المرتزقة"[١٨]، وفي نهاية القرن السادس عشر عمدوا إلى الاستقرار وكونوا مجتمعا مستقلا وأصبحوا قوة مؤثرة بشكل كبير[١٩].

لم تنقطع العلاقات التي ربطت القوزاق بصفة عامة وقوزاق الدون على وجه الخصوص بروسيا؛ فقد نظر إليهم الحكام الروس باعتبارهم اتباعا له وإن أقاموا خارج حدود بلاده، وفي المقابل اقترب القوزاق من روسيا؛ لتلبية احتياجاتهم المهمة من الحبوب والبنادق والبارود، وقد خدم بعضهم في الجيش الروسي على عهد إيفان الرابع[٢٠] Ivan IV (١٥٤٧-١٥٧٥)، وجندتهم روسيا لأعمال الحراسة وأغراض الاستكشاف، ومنحتهم امتيازات خاصة منها التجارة المعافاة من الضرائب في المدن الجنوبية، ومدتهم بالمال، والخبز والقماش والبارود، بل وعدت الأقنان الهاربين الذين استقروا في منطقة الدون أحرارا، وتولت إدارة الشئون الخارجية كل شئونهم، ومع دخولهم في خدمة روسيا ازدادت هجماتهم على تتار القرم والولايات العثمانية شمال البحر الأسود[٢١].

تعرضت آزوف لهجمات شبة دائمة من قبل قوزاق الدون، ويُرجِع بعض المؤرخين ذلك إلى رغبتهم في الاستفادة من التجارة المربحة التي تمر على طول نهر الدون، بالإضافة إلى مركز آزوف التجاري المتميز[٢٢]، كما رجح بعضهم أن سبب هذه الهجمات تحرير العبيد المسيحيين المحتجزين في آزوف، التي كانت أحد أهم مراكز تجارة العبيد في شبة جزيرة القرم[٢٣]، ويذكر المؤرخ الروسي بوبوف Popov أن قوزاق الدون أفصحوا في أحد رسائلهم إلى حكومة موسكو عن سبب مهاجمتهم المستمرة لآزوف؛ بأنه من الصعب عليهم أن يشعروا بالأمان طالما بقيت قلعة آزوف في أيدي العثمانيين، فرجال آزوف الذين وصفوهم بـ"الأقذار" دائما يشعرونهم بالخطر[٢٤]؛ ولهذا كثرت هجماتهم على آزوف خلال النصف الثاني القرن السادس عشر[٢٥].

شهد عام ١٥٩٣م أشد هجمات القوزاق على آزوف خلال القرن السادس عشر، فقد نجحوا في اقتحام المدينة لكن القوات العثمانية تصدت لهم بقوة، فخشى الوصي على العرش في روسيا آنذاك بوريس غوردونوف Boris Gordunov (١٥٥١- ١٦٠٥) من رد فعل الدولة العثمانية؛ ولاسيما أن روسيا عانت خلال تلك الفترة من بعض الاضطرابات الداخلية؛ فأرسل غوردونوف من قبله سفيرا يدعى ناشوكين Nashchokin حاملا معه رساله تهديد إلى القوزاق، يأمرهم فيها بضرورة كف أيديهم عن الولايات العثمانية، وأن "يعيشوا في سلام مع سكان آزوف وإلا سيعرضون أنفسهم للمعاقبة بالإعدام"[٢٦]، كما أرسل سفيرين من قبله إلى

الأستانة عامي ١٥٩٣-١٥٩٤ للتأكيد على العلاقات السلمية التي تربط روسيا بالدولة العثمانية[٢٧].

لم يأبه القوزاق لأمر بوريس غوردونوف واستمرت هجماتهم على الأراضي العثمانية، ويستدل مما ذكره المؤرخ الروسي أليكسي نوفوسيلسكي Alexey Novoselsky (١٨٩١-١٩٦٧) أن هذه الهجمات ازدادت شراستها وضراوتها منذ مطلع القرن السابع عشر[٢٨]؛ فكانوا يهاجمون المدن العثمانية ويُعملون فيها السلب والنهب ويشعلون فيها الحرائق، ثم يهربون سريعا قبل وصول النجدات العثمانية إليها[٢٩]، وفي عام ١٦٢٥م تمكن قوزاق الدون من اقتحام قلعة آزوف، وتشير الوثائق العثمانية إلى أن القوات العثمانية حققت انتصارا كبيرا على القوزاق وأخرجتهم من المدينة[٣٠]، بينما يذكر المؤرخ الروسي تيخونوف Tikhonov أن القوزاق كبدوا العثمانيين خسائر فادحة، ولم يخرجوا من المدينة إلا بصعوبة بالغة[٣١]، والراجح أن القوزاق أصابوا آزوف بأضرار واضحة خلال هذا الهجوم مما دفع العثمانيين بإلقاء اللوم على الروس، وتحميلهم مسئولية أعمال القوزاق، الأمر الذي تسبب في قلق القيصر الروسي ميخائيل الأول Michael I (١٦١٣-١٦٤٥) فأرسل إلى القوزاق ليحذرهم من تكرار مثل هذه الهجمات.

لم يلق القوزاق بالا لهذه الإنذارات، وشنوا هجوما ضاريا على آزوف خلال عامي ١٦٢٧- ١٦٢٨م، فصرحت حكومة موسكو بأن القوزاق فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم، ولم يستمعوا لنصائحها بالكف عن مهاجمة الأراضي العثمانية[٣٢]، وخشى الروس من تطور الموقف وإعلان الدولة العثمانية الحرب ضدهم، في الوقت الذي تصاعدت فيه المشكلات التي تواجهها روسيا على الصعيدين الداخلي والخارجي[٣٣]، فأرسل القيصر الروسي ميخائيل الأول عام ١٦٣٠م سفيره إيفان كاراميشيف Ivan Karamyshev لتوبيخ قوزاق الدون على استمرار هجماتهم على الأراضي العثمانية، ويبدو أن السفير قد استخدم لهجة شديدة الغلظة مما أثار غضب القوزاق الذين قبضوا عليه، وقيدوه ووضعوه داخل كيس وألقوا به في النهر، وهو الشكل التقليدي المتبع في إجراء الإعدام لديهم[٣٤].

تدعم الحادثة السابقة رأي "بويك" Boeck بأن قوزاق الدون رغم ولائهم لروسيا إلا أنهم اختاروا قادتهم، وحكموا أنفسهم دون تدخل من الحكومة الروسية[٣٥]، وما ذكره "أوروك" O'Rourke بأنه رغم العلاقة القوية التي ربطتهم بالقيصر الروسي فإنهم خضعوا له "باختيارهم الحر وليس بدافع الإكراه"[٣٦]؛ ولهذا لم يستمع قوزاق الدون لنصائح القيصر ميخائيل الأول أو لتهديداته؛ وفي أكتوبر ١٦٣٤م تعرضت قلعة آزوف لهجوم مشترك من قبل قوزاق الدون، وقوزاق

الزابوروجيان Zaporozhian حيث هاجموا برج الزاوية، فانهارت جدران البرج وغطت حجارته مدخل المدينة[٣٧]، فأرسل السلطان العثماني مراد الرابع (١٦٢٣-١٦٤٠) رسالة تهديد إلى القيصر الروسي ميخائيل الأول أوضح فيها بأنه إذا لم يأمر القوزاق بكف أيديهم عن إلحاق الضرر بالأراضي العثمانية فإنه سيأمر خان القرم والقوات العثمانية في إيالة كيفي بمهاجمة الأراضي الروسية، جاء هذا التهديد في وقت اشتدت فيه حاجة روسيا إلى إقرار السلام على حدودها الجنوبية ولاسيما بعد هزيمتها في حربها ضد بولندا (١٦٣٢-١٦٣٤) التي خاضتها من أجل استرداد سمولينسك، ولهذا اتهم القيصر ميخائيل الأول في رسالته إلى القوزاق في مايو ١٦٣٥م أنهم السبب في إفساد علاقة روسيا بالدولة العثمانية، وحملهم مسئولية نشوب حرب بين البلدين[٣٨].

عقد قوزاق الدون عزمهم في يناير ١٦٣٧م على مهاجمة آزوف واحتلالها؛ مستغلين الأوضاع غير المستقرة التي عانت منها الدولة العثمانية على المستويين الداخلي والخارجي، فقد كثرت الثورات المحلية ضد الحكم العثماني[٣٩]، بالإضافة إلى تنامي الخطر الصفوي ونشوب الحرب العثمانية الصفوية (١٦٢٣-١٦٣٩)، ورفض خان القرم عنايت جيراي Inayet Giray (١٦٣٥-١٦٣٧) الخروج إلى جانب السلطان مراد الرابع لمحاربة الصفويين، بل وهاجم عنايت جيراي إيالة كيفي وأعدم الوالي العثماني إبراهيم باشا وعين بدلا منه أحد أتباعه، وأعلن في صيف ١٦٣٦م انفصاله عن الدولة العثمانية، وطلب مساعدة القوزاق ضد العثمانيين مقابل إمدادهم بالأموال[٤٠]، فوعده قوزاق الزابورجيان بإمداده بخمسة آلاف رجل، ولكنهم أرسلوا له في النهاية ستمائة رجل فقط تحت قيادة هيتمان[٤١] بافل بوت Pavel Bout، وربما كان سبب ذلك استعدادهم لمساعدة قوزاق الدون في حصار آزوف[٤٢].

في يناير ١٦٣٧م اجتمع قادة قوزاق الدون لوضع خطتهم من أجل السيطرة على آزوف، وفي هذا الاجتماع وقع اختيارهم على هيتمان ميخائيل تاتارينوف Michael Tatarinov لقيادة الجيش الموجه نحو آزوف، وأرسلوا أوامرهم إلى جميع القوزاق للانضمام إلى الحملة، وأعلنوا أنه من لم يمتثل للأمر من قوزاق الدون سيعد خارجا عن القانون، ثم أرسلوا رسالة إلى قوزاق الزابورجيان لطلب مساعدتهم، وفي ربيع ١٦٣٧م انضم إلى قوزاق الدون ما يقرب من أربعة آلاف وخمسمائة شخص كان معظمهم من قوزاق الزابورجيان، بالإضافة إلى التجار وعمال

السفن الذين أقاموا على ضفاف نهر الدون وأرادوا مشاركة القوزاق في هذه الحملة للاستفادة من خيرات آزوف(٤٣).

نظرا لحاجة القوزاق الشديدة إلى مزيد من الأموال والأسلحة والعتاد لإسقاط آزوف؛ قاموا في فبراير ١٦٣٧م بإرسال مبعوثين من قبلهم هما هيتمان إيفان كاتوربني İvan Katorniy وتيموفي ياكوفيسكي Timofey Yakovskiy إلى موسكو؛ لطلب المساعدات المالية والعسكرية من القيصر الروسي ميخائيل الأول دون إخباره بشأن استعدادهم لمهاجمة آزوف(٤٤)؛ لعلمهم بموقف القيصر السابق من هذه الهجمات حرصا منه على حفظ الأمن والسلام على حدود روسيا الجنوبية.

يمكن القول بأن الدولة العثمانية قد لاحظت تحركات القوزاق وتعبئتهم لقواتهم خلال تلك الفترة على مقربة من آزوف؛ ولهذا حاولت حماية المدينة من خلال الوسائل الدبلوماسية، فأرسل مراد الرابع إلى موسكو في بداية عام ١٦٣٧م مبعوثا من قبله يدعى فوما كانتاكوزين Kantakuzin؛ لإقناع الحكومة الروسية باستخدام نفوذها لمنع قوزاق الدون من مهاجمة آزوف، وحينما علم قوزاق الدون بأمره منعوه من عبور نهر الدون؛ بإظهار ذريعة تساقط الثلوج بكثافة، واحتجزوه لديهم، ولهذا أرسل حاكم آزوف رسالة إلى القيصر ميخائيل الأول يعرب فيها عن قلقه من مهاجمة القوزاق لآزوف، ويطلب منه استخدام نفوذه لمنع هذا الهجوم(٤٥)، ولاسيما وأن السلطان مراد الرابع منع سكان آزوف من إلحاق الأذى بالروس، أو اتخاذ إجراءات ضد القوزاق أنفسهم؛ لأنه يعد قيصر روسيا بمثابة "صديق له"، كما طلب منه إرسال رجاله لمقابلة القوزاق والتحدث معهم بشأن احتجاز كونتاكوزين، فرد القيصر بأنه سيرسل من قبله نبيلا روسيا مع بعض الجنود الروس إلى قوزاق الدون لإقناعهم بإطلاق سراح كونتاكوزين، والتصالح مع سكان آزوف، وقد أوفى ميخائيل الأول بما عاهد عليه العثمانيين، وفي ١١ مارس ١٦٣٧م أمر مبعوثا من قبله يدعى تشيريكوف Chirikov بالسفر إلى نهر الدون؛ لمقابلة القوزاق والعناية بأمر المبعوث العثماني(٤٦).

في ١١ إبريل ١٦٣٧م وقبل وصول تشيريكوف تحرك القوزاق لحصار آزوف، وعلى الرغم من أن عدد الحامية العثمانية في آزوف لم يتجاوز بضعة آلاف، لكنهم تميزوا بتفوق مدفعيتهم، فقد امتلكوا ما يقرب من مائتي مدفع مقابل تسعين بندقية معظمها من العيار الصغير امتلكها القوزاق، الذين بمجرد وصولهم أقاموا التحصينات الترابية وحاولوا استخدامها للاقتراب من أسوار المدينة، وإطلاق النار عليها، لكن المدينة كانت محمية بخط ثلاثي من التحصينات الحجرية

الأولى كانت أسوار مدينة "توبراك"، والثانية مدينة "طاشكالوف"، والثالثة أسوار آزوف نفسها، بالإضافة إلى أحد عشر برجا، وعلى الرغم من أن جدران هذه المدن لم تكن قوية بالدرجة الكافية؛ فلم يكن بإمكان مدفعية القوزاق ذات العيار الصغير تدميرها، وقد حاول القوزاق اقتحام قلعة آزوف أكثر من مرة لكن محاولاتهم باءت بالفشل، فأصبح القوزاق في موقف حرج ازداد سوءا بسبب نقص الذخيرة والطعام(٤٧).

في مايو ١٦٣٧م وصل تشيريكوف إلى سواحل الدون حاملا معه ما اعتاد القيصر إرساله إلى قوزاق الدون من البارود والرصاص والقماش وخمسين قذيفة مدفعية، بالإضافة إلى ألفي روبل، وبمجرد وصوله علم بمحاصرة القوزاق لآزوف، فلم يتمكن من مقابلة رؤسائهم، كما نمى إلى علمه مقتل كونتاكوزين، وبالتالي فشلت المهمة التي جاء من أجلها تشيريكوف، إلا أن وصوله في هذا التوقيت تحديدا أفاد قوات القوزاق المحاصِرة لآزوف أيما فائدة؛ فسرعان ما أرسلت إليهم ذخائر المدافع والبارود الروسي، التي عززت قوتهم المادية والمعنوية وجعلتهم يغيرون تكتيكات الحصار(٤٨)، وفي ١٦ يونيو ١٦٣٧م تمكنوا من حفر نفق أسفل سور قلعة آزوف وتفجير جزء رئيسي من جدرانه، ثم شنوا هجوما شديدا على القلعة من جميع الجهات، فحدث تشابك وقتال بين القوات العثمانية المدافِعة عن آزوف وقوات القوزاق استمر لمدة يومين، وفي اليوم الثالث الموافق ١٨ يونيو ١٦٣٧م سقطت آزوف في أيدي القوزاق(٤٩).

اختلف المؤرخون حول مسئولية روسيا عن احتلال قوزاق الدون لآزوف، فيرى فريق من المؤرخين أنهم فعلوا ذلك بدعم من روسيا أو على الأقل بمباركتها؛ فيذكر المؤرخ الإنجليزي إدوارد كريسي Edward Creasy (١٨١٤- ١٨٧٨) أن القوزاق كانوا رعايا تابعين لروسيا منذ عهد إيفان الرابع، وأنهم لم يجرؤوا على احتلال آزوف إلا بعد موافقة القيصر الروسي ودعمه لهم(٥٠)، كما يذكر المؤرخ الفرنسي ألفريد رامبو Alfred Rambaud (١٨٤٢-١٩٠٥) أنه بمساعدة روسيا للقوزاق وبما أمدتهم من إمكانات تمكنوا من السيطرة على آزوف(٥١).

يرى فريق ثان من المؤرخين أن القوزاق لم يخبروا القيصر الروسي بمسألة غزو آزوف؛ لأنهم يعرفون جيدا سياسة الروس خلال تلك الفترة تجاه الدولة العثمانية، وأن الروس كانوا في أمس الحاجة إلى إقرار الأمن والسلام على حدودهم الجنوبية ولاسيما مع تنامي مشكلة سمولينسك(٥٢). ويمكن ترجيح الرأي الثاني مع الأخذ في الاعتبار أن القيصر الروسي ميخائيل الأول لم يتخذ موقفا عدائيا من القوزاق حينما علم بمسألة حصارهم لآزوف، أو عقب وصول

الأنباء بسيطرتهم عليها، ولهذا يمكن الاتفاق مع ما ذكره "بويك" بأن حكومة موسكو عشية حصار القوزاق لآزوف لم تدعمهم بقوة، ولكنها لم تتدخل بشكل حاسم لعرقلة حصارهم(٥٣).

خشى القوزاق من رد فعل القيصر ميخائيل الأول بعد سقوط آزوف، فأرسلوا رسائلهم تترا مؤكدين ولائهم له، ومما جاء في أحد هذه الرسائل: "ذهبنا خدمك نسعى فيما بيننا من أجل تنظيف النهر"(٥٤)، في إشارة منهم إلى نهر الدون، وقد قصدوا بتنظيف النهر إطلاقهم سراح ألفي مسيحي أرثوذكسي عقب سيطرتهم على المدينة، كما وعدوا القيصر بأنهم سيعملون جاهدين على تثبيت العقيدة الأرثوذكسية في آزوف، فغض ميخائيل الأول الطرف عما فعله القوزاق، وفي ١٥ يوليو ١٦٣٧م أرسل قوزاق الدون وفدا إلى موسكو ليطلبوا من القيصر وضع آزوف تحت حمايته، وإرسال مزيد من التعزيزات إليهم، لكنه رفض ذلك خوفا من اضطراب علاقته بالدولة العثمانية(٥٥)، وأرسل إلى السلطان مراد الرابع يخبره أن القوزاق –الذين أطلق عليهم اسم "اللصوص"(٥٦)– نفذوا هذا الغزو من تلقاء أنفسهم، دون علمه أو أذنه، مشيرا بأنه لا يقول ذلك دفاعا عنهم بل "لرغبته في العيش مع الدولة العثمانية في صداقة وسلام"، كما طلب القيصر الروسي من قادة القوزاق في رسائله إليهم بأنه في حالة أسر العثمانيين لأي جندي قوزاقي فعليه الإدلاء بتصريحات تفيد بأنهم استولوا على آزوف دون علم القيصر، وبمبادرتهم الشخصية(٥٧).

على أية حال فقد أثرت سيطرة قوزاق الدون على آزوف تأثيرا واضحا على الوضع السياسي والعسكري في الدولة العثمانية، ونظرا لاشتعال الحرب بين العثمانيين والصفويين آنذاك فقد استقبل الصفويون نبأ سقوط آزوف بسعادة بالغة؛ لأنه سيخلق مشاكل جديدة أمام الدولة العثمانية؛ ولهذا أرسلت حكومتهم سفارة إلى قوزاق الدون تحمل مساعدات مالية وعينية كبيرة(٥٨). وتشير بعض الكتابات الروسية أن إسقاط آزوف أحدث زعرا شديدا للعثمانيين وتتار القرم فلم يجرؤوا خلال الفترة من ١٦٣٧–١٦٤٢م على القيام بأي غارة على الأراضي الروسية(٥٩)، ولكن يمكن مخالفة ذلك الرأي؛ ففي سبتمبر ١٦٣٧م وبعد أن أحكم العثمانيون قبضتهم على خانية القرم من جديد، أرسل خان القرم بهادير الأول جيراي Bahadır I Giray (١٦٣٧–١٦٤١) القائد نور الدين صفا جيراي بجيش إلى حدود موسكو، وعلى الرغم من أن هذا الجيش لم يلحق بهذه الحدود أضرارا جسيمة إلا أنه حقق هدف خان القرم بتذكير الروس بأهمية خانية القرم ومدى قوتها؛ وكان بمثابة رسالة تهديد للقيصر الروسي لدفع القوزاق للخروج من آزوف؛ ولهذا أرسل القيصر ميخائيل الأول سفراءه إلى بهادير جيراي ليوضح لهم ما سبق وأن أوضحه للسلطان مراد الرابع من أن الروس هاجموا آزوف وأسقطوها دون علمه،

وقد ارتاب القيصر بشدة من تحركات تتار القرم، فأرسل إلى القوزاق رسالتين في ٢٦ نوفمبر ١٦٣٧م، ثم في ٨ مارس ١٦٣٨م يحملهم فيها مسئولية أي توغل في المستقبل من قبل نور الدين صفا جيراي في الأراضي الروسية[٦٠].

سافر هيتمان تاتارينوف بنفسه إلى موسكو في إبريل ١٦٣٨م ليُطَمئِن القيصر ميخائيل الأول بأن الدولة العثمانية في ظل ما تعانيه من اضطرابات لن تشن حربا على روسيا، وأن القوزاق باستطاعتهم مهاجمة تتار القرم والانتصار عليهم، وطلب منه إرسال الذخائر لضمان استمرار سيطرتهم على آزوف، وأنه من مصلحة الروس أن تبقى آزوف في أيدي القوزاق وليس في أيدي العثمانيين [٦١]، ولما كان توغل نور الدين صفا جيراي التوغل الوحيد لتتار القرم داخل الأراضي الروسية عقب سيطرة القوزاق على آزوف، فقامت موسكو بإرسال ذخيرة إلى قوزاق الدون عام ١٦٣٨م بما يعادل مائة رطل من البارود، ومائة وخمسون رطلًا من الرصاص [٦٢]، كما زودتهم بالخبز والأموال اللازمة لهم، وسمح القيصر للروس بالتجارة مع آزوف[٦٣]، ومنح القوزاق الراية الملكية، كما أرسل أيقونات وكتب إلى المدينة لدعم كنيستها[٦٤].

منذ بداية عام ١٦٣٨م أخذ السلطان مراد الرابع يضغط بقوة على خان القرم بهادير جيراي من أجل إرسال حملة لاسترداد آزوف، لكن فرسان القرم من النبلاء أوضحوا أنهم لا يمكنهم استرداد آزوف دون توافر مدفعية قوية، ونظرا لمغادرة نور الدين صفا جيراي بجزء كبير من الجيش لمساندة السلطان مراد الرابع في حروبه ضد الصفويين؛ اتبع بهادير جيراي سياسة الدبلوماسية والتأجيل، فأرسل في ربيع ١٦٣٨م سفيرا إلى قوزاق الدون للتفاوض معهم للانسحاب من آزوف مقابل مبلغا ضخما من المال، لكنهم رفضوا ذلك؛ ففرض بهادير جيراي في أول أغسطس ١٦٣٨م حصارا حول آزوف، لكنه لم يتمكن من اقتحام المدينة، واضطر في نهاية أكتوبر ١٦٣٨م إلى رفع الحصار[٦٥].

في ربيع ١٦٤١م عقد السلطان إبراهيم الأول (١٦٤٠-١٦٤٨) الذي خلف مراد الرابع في عرش الدولة العثمانية العزم على استرداد آزوف، وحينما علم القوزاق بذلك سارعوا إلى بناء تحصينات إضافية للمدينة، فحفروا خنادق جديدة، وأقاموا السدود وحفروا الآبار، ثم أرسلوا رسائلهم إلى قرى الدون المختلفة لمناشدة أهلها للتجمع للدفاع عن آزوف، وفي ٧ يونيو ١٦٤١م تحرك العثمانيون تحت قيادة حسين ديلي باشا (ت ١٦٥٩) حاكم سلستزا لاسترداد آزوف، تبعهم في ٢٤ يونيو تحرك خان القرم محمد الرابع جيراي بقواته[٦٦]، وفرضت القوات العثمانية

حصارا شديدا حول المدينة، وحاول القوزاق المحاصرون داخل المدينة والبالغ عددهم خمسة آلاف –من بينهم ثمانمائة امرأة– تحت قيادة أوسيب بتروف Osip Petrov ومساعدة نعوم فاسيليف Naum Vasiliev الدفاع عن المدينة بكل وسيلة ممكنة(٦٧).

منذ نهاية شهر يونيو ١٦٤١م استمر إطلاق القصف المدفعي من المدافع الثقيلة للعثمانيين على قلعة آزوف مما ألحق بها أضرارا جسيمة، ولم ينج من الأبراج الأحد عشر إلا ثلاثة فقط، كانت في حالة سيئة بسبب شدة القصف، وأمام هذا الضغط الشديد ترك القوزاق التحصينات التي احتموا بها، وانتقلوا إلى مخابئ محصنة تحت الأرض، وقد لعب نساء القوزاق دورا مهما في الدفاع عن المدينة(٦٨)، وفي ٩ أغسطس أرسل حسين باشا إلى الأستانة يطلب إمداده بالأسلحة والقوات، ولما تأخر وصول هذه الإمدادات احتدم الخلاف بين القادة العثمانيين حول إمكانية استمرار محاصرة آزوف، تبع ذلك ظهور الأمراض المعدية بين القوات العثمانية(٦٩)، ثم انتهاء البارود ودخول فصل الشتاء، مما دفع العثمانيين إلى رفع الحصار عن المدينة في ٢٦ سبتمبر ١٦٤١م بعد أن دُمِرَت معظم تحصيناتها(٧٠)، في الوقت نفسه عانى القوزاق بشدة بسبب نقص الغذاء؛ كما أنهكم شدة الحصار؛ ولهذا سافر نعوم فاسيليف إلى موسكو في نهاية أكتوبر١٦٤١م ليعرض على القيصر ميخائيل الأول ضم آزوف(٧١).

درس ميخائيل الأول جيدا عرض القوزاق وأرسل في ٢ ديسمبر ١٦٤١م من لدنه مبعوثين هما: جيليابويسكي Jelyabuyskiy وباشماكوف Bashmakov لاستكشاف الوضع في آزوف على الطبيعة، وبعد الانتهاء من دراسة الموقف عن قرب، عادا إلى موسكو في ٨ مارس ١٦٤٢م موضحين سوء أوضاع آزوف، وأنها تضررت بشدة من مهاجمة العثمانيين، وأن تحصينات المدينة دُمِرَت بالكامل، فقرر القيصر ميخائيل الأول في ٣٠ إبريل ١٦٤٢م عدم إرسال الجنود الروس إلى آزوف، وأمر القوزاق بسرعة إخلاء المدينة، وحملهم مسئولية مهاجمة الجيش العثماني وتتار القرم لروسيا في المستقبل إذا أصر القوزاق على البقاء في آزوف، وأوضح أنه في حالة امتناعهم عن الانسحاب فلن يرسل لهم أية مساعدات مادية أو عينية، وأمام هذه الضغوط المتتالية قرر القوزاق في صيف ١٦٤٢م مغادرة آزوف بعد أن دمروا النذر القليل الذي تبقى من تحصيناتها، فأرسل القيصر ميخائيل الأول إلى أوسيب بتروف قائد القوزاق رسالة بتاريخ ٢٧ يوليو ١٦٤٢م يشكر فيها القوزاق على طاعتهم له ومغادرة المدينة على وجه السرعة، ويحثهم على ضرورة العيش في سلام مع سكان آزوف وعدم مهاجمة المدن العثمانية(٧٢).

استرد العثمانيون آزوف في سبتمبر ١٦٤٢م وحرصوا على تعزيز حاميتها، وقد نفذت الحامية العثمانية التي استقرت حديثا في آزوف بعض الغارات الانتقامية على مستوطنات قوزاق الدون، كما تعددت غارات تتار القرم على أراضي موسكو الجنوبية خلال عامي ١٦٤٤-١٦٤٥م ، وقد نفذ تتار القرم هذه الغارات من تلقاء أنفسهم دون الرجوع إلى رأي السلطان العثماني، مدفوعين بأسباب متعددة كان أهمها نقص المواد الغذائية (٧٣)، وقد وضعت هذه الغارات حكومة موسكو في مأزق واضح؛ حيث أظهرت ضعف نظامها الدفاعي، فأصبح لزاما عليها تقوية خطوطها الدفاعية؛ فاهتم الروس بتحصينات خط بيلغورود Belgorod وطريق كاليموسك Kalmiussk وطريق مورافسكي Muravskiy، والتي كانت أكثر الطرق التي جاءت منها غارات تتار القرم، كما استخدم الروس قوزاق الدون كحائط صد لمنع هجمات تتار القرم على الأراضي الروسية، واهتمت بزيادة أعدداهم ليؤدوا الدور المنوط بهم بكفاءة؛ فسمحت للصيادين الأحرار في المدن الحدودية لروسيا بالانضمام إليهم، وزودتهم بما يحتاجونه من الأموال والأغذية والمعدات العسكرية، وقد هاجم قوزاق الدون بدعم من روسيا آزوف عام ١٦٤٦م لكن نيات جيراي Niyat Giray ابن خان القرم إسلام الثالث جيراي (١٦٤٤-١٦٥٤) تصدى لهم وأجبرهم على الانسحاب، على الرغم من فشل هجمات القوزاق على آزوف عام ١٦٤٦م، إلا أن حكومة موسكو حققت هدفها الرئيسي منها؛ فقد تخلى تتار القرم عن الحملة الكبيرة التي كانوا يفكرون في القيام بها لمهاجمة الأراضي الروسية(٧٤).

رابعا: حملات بطرس الأول على آزوف (١٦٩٥-١٦٩٦)

أدى دخول قوزاق الزابورجيان تحت الحماية الروسية بمقتضى معاهدة بيرياسلاف Pereyaslav عام ١٦٥٤م(٧٥)، وتخلصهم من النفوذ البولندي إلى تغير الوضع السياسي على سواحل البحر الأسود خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر؛ فقد استخدمت روسيا قوزاق الزابورجيان كقوات حدودية دفاعية ضد أراضي القرم والدولة العثمانية، في الوقت الذي خاضت فيه حربا شديدة ضد بولندا في مايو ١٦٥٤م كان من أهم نتائجها استعادة مدينة سمولينسك في سبتمبر من نفس العام الأمر الذي أمن حدود روسيا الجنوبية، ودفعها إلى تبني سياسة نشطة تجاه البحر الأسود بصفة عامة، وآزوف بصورة خاصة(٧٦).

سنحت الفرصة لروسيا لوضع سياستها الجديدة تجاه البحر الأسود موضع التنفيذ عقب فشل القوات العثمانية في الاستيلاء على فيينا عام ١٦٨٣م، وإعلان الدول الأوربية حرب

"العصبة المقدسة" (١٦٨٣-١٦٩٩) ضد الدولة العثمانية[٧٧]، وقد اتخذت الوصية على العرش الروسي صوفيا ألكسييفنا[٧٨] Sophia Alekseyevna (١٦٨٢-١٦٨٩) قرارا بدخول الحرب ضد العثمانيين، بعدها أرسلت صوفيا الأمير فاسيلي غولستين Golitsyn Vasilli (١٦٤٣-١٧١٤) بجيش لغزو شبة جزيرة القرم عام ١٦٨٧م، وقد تقدم الجيش الروسي والقوزاقي والذي قُدِرَ عدده بمائتي ألف شخص لمهاجمة القرم؛ لكن سليم كيراي Selim Giray (١٦٨٤-١٦٩١) خان القرم أدرك خطورة التوغل الروسي فاستمات في الدفاع عنها، وصد هجمات الروس المتتالية خلال الفترة من ١٦٨٧-١٦٨٩ [٧٩].

بعد فشل حملات غولستين على شبة جزيرة القرم، أراد التتار الانتقام من الروس فصوبوا هجماتهم على الأراضي الروسية، كما قاموا بشن الغارات على جميع أنحاء أوكرانيا التابعة لروسيا؛ مما اضطر الروس إلى دفع الجزية لخانات القرم لمنع مثل هذه الهجمات، وظل الروس في موقف الدفاع ولم يحققوا نجاحا يُذكر ضد العثمانيين والتتار رغم إعلانهم المشاركة في حرب العصبة المقدسة، الأمر الذي دفع النمسا وبولندا إلى ممارسة ضغوطا شديدة على الروس لمهاجمة الدولة العثمانية، كما أرسل بطريرك القدس دوثيوس Dotheus رسالة إلى بطرس الأول أشار فيها بعدم وجود روح المبادرة لدى الروس من أجل محاربة العثمانيين والتتار الذين هم "حفنة من البشر"، ورغم ذلك فهم يتباهون بأخذ الجزية من الروس، مشيرا إلى أن وعود بطرس الأول بمحاربة العثمانيين كانت مجرد كلمات فقط دون أفعال[٨٠].

يمكن القول بأن الظروف السياسية الداخلية التي مرت بها روسيا في أواخر الثمانينيات من القرن السابع عشر أثرت بشكل واضح على فاعلية الدور الذي كان يجب على الروس القيام به في حرب العصبة المقدسة، وفي عام ١٦٨٩م عندما استعاد بطرس الأول سلطته المغتصبة من أخته صوفيا، ونظم جبهته الداخلية، اتخذ قرارا بمهاجمة آزوف من أجل إخراج روسيا من حالة الذل والمهانة التي عانت منها عقب فشل حملات غولستين على شبة جزيرة القرم[٨١]، بالإضافة إلى إيمان القيصر الشاب الطامح في التغيير والتحديث بحاجة روسيا إلى الوصول إلى البحار؛ وذلك لخلق الظروف المواتية لتطوير العلاقات الاقتصادية بين روسيا والبلدان الأخرى عن طريق الممرات المائية، وفي الوقت نفسه لضمان "الأمن الخارجي للدولة" التي تتعرض حدودها لهجوم من الجنوب من تتار القرم والعثمانيين، ومن الشمال الغربي من جانب السويد، وقد ركز بطرس الأول بسبب ظروف حرب العصبة المقدسة على الاتجاه أولا صوب البحر الأسود[٨٢].

أ. حملة آزوف الأولى ١٦٩٥م

في بداية عام ١٦٩٥م قرر بطرس الأول السيطرة على آزوف ولتشتيت جهود العثمانيين، وصرف نظر تتار القرم عن الدفاع عن المدينة قرر إرسال جيش للسيطرة على الروافد السفلى لنهر الدنيبر(٨٣)، وفي ٢٠ يناير ١٦٩٥م أُعلِنَ مرسوم ملكي في موسكو بشأن تشكيل هذا الجيش، وإسناد قيادته إلى بوريس شيريميتيف Boris Sheremetev (١٦٥٢-١٧١٩)، ولم تُذكر كلمة واحدة عن آزوف بشكل متعمد في المرسوم من أجل مباغتة العثمانيين، وتكون هذا الجيش من مائة وعشرون ألف رجلا، وعين قائد قوزاق الزابورجيان إيفان ستيبانوفيتش مازيبا Ivan Stipanovich Mazepa (١٦٣٩-١٧٠٩) مساعدا لشيريميتيف، وقد حققت هذه الحملة نجاحا واضحا في تحقيق هدفها وسيطرت على القلاع العثمانية الكبرى في هذه المناطق(٨٤).

في إبريل ١٦٩٥م اكتمل تنظيم جيش آزوف الذي بلغ عدد قواته حوالي ثلاثون ألف رجلا، ومائة وسبعون بندقية(٨٥)، لم يعين بطرس الأول قائدا عاما للجيش، بل قسمه إلى ثلاث فرق، الأولى برئاسة الجنرال باتريك جوردون(٨٦) Patrick Gordon (١٦٣٥-١٦٩٩)، والثانية بقيادة أفنتوم جولوفين(٨٧) Avtonom Golovin (١٦٦٧-١٧٢٠)، والثالثة بقيادة فرانز ليفورت(٨٨) Franz Lefort (١٦٥٦-١٦٩٩)، ولحل القضايا المتعلقة بأعمال الجيش بأكمله، تقرر عقد مجلس عسكري يتألف من جوردون وجولوفين وليفورت، بالإضافة إلى بعض القادة العسكريين، ولكن لا يمكن تنفيذ قرارات المجلس إلا بموافقة بطرس الأول عليها، على الرغم من مشاركته في الحملة كقاذف(٨٩)، وفي ٢٧ إبريل ١٦٩٥م خرج بطرس الأول مع قواته المتجهة إلى آزوف من موسكو في موكب ضخم(٩٠).

على الرغم من السرية التي أحاطت حملة بطرس الأول على آزوف إلا أن التحركات الروسية المتزامنة مع تحركات قوات القوزاق ولاسيما قوزاق الدون أثارت مخاوف الدولة العثمانية، واستشعر القادة العثمانيون الخطر المحدق بآزوف، فاهتموا بتعزيز الحامية العثمانية التي تولت الدفاع عن قلعتها والتي قدر عددها بثلاثة آلاف وستمائة وخمسة وستين جنديا منهم ألفان ومائتان واثنان وسبعون انكشاريا، فأضافوا إليهم في ربيع ١٦٩٥م أربعة آلاف مقاتل(٩١).

كانت قوات جوردون هي أولى القوات التي وصلت إلى المنطقة شمال آزوف في ٢٦ يونيو ١٦٩٥م، وقد اهتم جوردون بدراسة طبيعة المنطقة المحيطة بآزوف، ونجح في إنشاء قاعدة للروس على نهر كويزوغا Koisuga -مسيرة يوم من آزوف-، وبمجرد ظهور قوات جوردون قام

العثمانيون بإحراق الضاحية الواقعة أمام سور المدينة الخارجي، واهتموا بجعل السياج الترابي الخارجي المحيط بالمدينة ليعمل بشكل جيد(٩٢).

صحب بطرس الأول قوات جولوفين وليفورت في طريقهم إلى آزوف، وقد عبرت القوات الروسية نهري موسكو وأوكا Oka وصولا إلى نهر الفولجا، حتى وصلوا إلى تساريتسين Tsaritsyn (حاليا فولجوجراد Volgograd)، ثم ساروا برا حتى وصولوا إلى نهر الدون، ثم انتقلوا عبر السفن إلى قرية بانشين Panshin، التي مكثت فيها القوات الروسية لمدة أسبوع كامل ليس فقط بسبب شدة الرياح، ولكن لتأخر وصول المواد الغذائية الضرورية مثل لحم البقر، ولحم الخنزير المملح، والملح من تساريتسين إلى بانشين فكان الموجود منها أقل بكثير مما تحتاجه القوات الروسية، وقد أتاح هذا التأخير للعثمانيين فرصة ذهبية لتعزيز حامية آزوف؛ فقد أمدوهم بعشرين سفينة عثمانية، وفي ١٩ يونيو ١٦٩٥م غادرت القوات الروسية بانشين متجهة إلى كويزوغا التي وصلوها في ٥ يوليو(٩٣).

منذ اللحظة الأولى لوصول قوات جولوفين وليفورت، وبِدأ أعمال الحصار ظهر الخلاف بين قادة الحملة الثلاثة؛ فقد وضع جوردون خطته للسيطرة على آزوف من خلال إحاطة القوات الروسية بها على شكل قوس يكون بعيدا عن متناول المدفعية العثمانية، ثم تقوم القوات الروسية بتصويب ضرباتهم المتتالية على المدينة، لكن جولوفين وليفورت لم يُعيروا هذه الخطة أي اهتمام، بل على العكس عسكر ليفورت بقواته بعيدا عن أسوار المدينة، ووضع جولوفين قواته على مسافة أبعد من قوات ليفورت، مما وضع قوات جوردون في موقف ضعيف(٩٤).

حرصت القوات العثمانية وسط هذا الحصار على إمداد آزوف بالمساعدات اللازمة، وفي صباح ٦ يوليو ١٦٩٥م ظهر عشرون قادسا(٩٥) عثمانيا في نهر الدون، لدعم العثمانيين المحاصرين داخل آزوف، فحاول الروس التصدي لهم، لكن القوات العثمانية نجحت في تشتيتهم وكبدتهم خسائر فادحة بسبب عدم تنظيم قادتهم، وانعدام الانضباط بين القوات، وفي اليوم التالي داهم العثمانيون موقع ليفورت وألحقوا بقواته خسائر كبيرة، فحاول جوردون إنقاذ الموقف؛ وأرسل ثلاثة آلاف من قواته لمساعدة ليفورت، فهاجم سلاح الفرسان العثماني جناح جوردون، وألحقوا به أضرارا واضحة(٩٦).

في ظل توتر أوضاع القوات الروسية المحاصِرة لآزوف، حرص القوزاق الذين كانت لديهم معرفة واسعة بطبيعة آزوف والأراضي المحيطة بها على تغيير الموقف لصالح الروس، فأرسل قائدهم هيتمان إيفان أوبيدوفسكي Obidovsky Ivan (١٦٧٦-١٧٠١) قوة قوامها مائتي قوزاقي

لمهاجمة قلعة آزوف، واستطاعت هذه القوات بمساعدة القوات الروسية في ١٤ يوليو ١٦٩٥م من احتلال برجين حجريين على ضفاف نهر الدون قرب قلعة آزوف، وقتلوا أربعة جنود عثمانيين، وأسروا أربعة عشر آخرين، كما سيطروا على خمسة عشر مدفعا عثمانيا، وكان هذا أكبر نجاحا حققته القوات الروسية خلال حملة آزوف الأولى(٩٧).

توالت الخيبات التي تعرض لها الروس أثناء حصارهم الأول لآزوف، وفي ليلة ١٥ يوليو ١٦٩٥م انتقل أحد البحارة الهولنديين المقربين من بطرس الأول ويدعى جاكوب يانسن Jacob Jansen إلى آزوف، وقابل القائد العثماني مرتضى باشا حاكم كيفي الذي كان موجودا داخل آزوف لدعم القوات العثمانية فيها، وأخبره بسوء وضع القوات الروسية، واختلاف القادة الروس وعدم التنسيق فيما بينهم فيما يتعلق بالمناورات الحربية، وتشتت قوات جوردون بين مجموعتي ليفورت وجولوفين، وأعلن رغبته في القتال في صف العثمانيين، كما أفضى إليه بمعلومات مهمة عن تنظيم القوات الروسية وأنهم غالبا ما يحصلون على قسط من الراحة خلال فترة ما بعد الظهيرة، فاستغل العثمانيون ذلك، وهاجموا موقع جوردون في هذا التوقيت، مما تسبب في ارتباك الفرسان الروس، وألقى معظمهم أسلحتهم وفروا هاربين، كما أسرع جوردون وقواته للخروج من المعسكر وهم في حالة من الذعر الشديد، واستمر القتال بين العثمانيين والروس لمدة ثلاثة ساعات كاملة، وأخذ العثمانيون في التقدم حتى واجهوا مقاومة من أفواج بريوبرازينسكي Preobrazhensky وسيمينوفسكي Semenovsky دفعهم إلى التراجع داخل المدينة(٩٨).

فتت هذه الواقعة كثيرا في عضد القوات الروسية، واجتمع بعدها مجلس الحرب في يومي ١٧ و١٩ يوليو ١٦٩٥م لدراسة الموقف عن كثب، ووضع خطة محكمة للاستيلاء على قلعة آزوف، لكن هذا الاجتماعات كما ذكر أحد القادة المشاركين بها كانت فوضوية تتم المناقشات فيها ببطء شديد فلم يترتب عليها أي نجاح أو تغيير في وضع القوات المحاصِرة لآزوف(٩٩).

في ٥ أغسطس ١٦٩٥م قامت أفواج المشاة بقيادة ليفورت بدعم ألفين وخمسمائة من القوزاق بأول محاولة لاقتحام قلعة آزوف، وقد تقرر منح عشرة روبلات لكل جندي يشارك في الاقتحام(١٠٠)، لكن هذا الاقتحام فشل فشلا ذريعا، وتكبد الروس بسببه خسائر فادحة، فكما ذكرت بعض المصادر الروسية، وذكره بوبروفسكي نقلا عن الجنرال جوردون نفسه أن الروس فقدوا ألف وخمسمائة رجل في هذا الاقتحام، تُرِكت جثثهم في ساحة المعركة، وجُرِحَ منهم ما يقرب من

ضعف هذا العدد، في حين بلغت خسائر العثمانيين مائتي قتيل، ورغم هذه المحنة الشديدة صوت المجلس العسكري الروسي في السادس من أغسطس بمواصلة الحصار، الذي استمر بعد ذلك لمدة شهر ونصف(١٠١).

اجتمع القادة العسكريون الروس مرة أخرى في ٢٥ سبتمبر ١٦٩٥م للتخطيط لما أطلقوا عليه "الهجوم الأخير على آزوف"، فقامت فرقتان من القوات الروسية يدعمهم ألف من قوزاق الدون بمهاجمة قلعة آزوف، وتمكنوا مع ضعف المقاومة العثمانية من الاستيلاء على جزء من تحصيناتها، لكن القوات العثمانية نجحت في إعادة تنظيم صفوفها، وتصدت بمنتهى القوة للقوات الروسية وقوات القوزاق وأجبرتهم على التراجع(١٠٢)، وقد ترك هذا الفشل انطباعا سيئا للغاية في نفوس القوات الروسية المحاصِرة لآزوف وأفقدتهم الثقة في القادة الأجانب، كما انزعج بطرس الأول بشكل كبير فحتى أول سبتمبر ١٦٩٥م كان لدية أمل في أن تستعيد القوات الروسية قدرتها وتتمكن من إسقاط المدينة؛ حيث أشار في خطابه إلى أحد أصدقائه أنه "واثقا من نجاح الهجوم الجديد القادم على آزوف"، لكن هذا الأمل قد ذهب أدراج الرياح(١٠٣)؛ فقرر في أول أكتوبر ١٦٩٥م رفع الحصار والعودة إلى موسكو، وفي طريق عودتهم فقد الروس أعدادا كبيرة بسبب المناورات المستمرة مع تتار القرم، وما تعرضت له القوات من الجوع والعطش(١٠٤).

يمكن القول بأن فشل حصار الروس الأول لآزوف يرجع إلى أسباب متعددة، أهمها قوة الحامية العثمانية في آزوف؛ بسبب استمرار وصول الإمدادات لها عن طريق البحر، في الوقت الذي عانت منه القوات الروسية من الضعف والتشتت، فقد فشل القادة الثلاثة الذين تولوا رئاسة الحملة في توفير مسار عمل موحد يضعف القوات العثمانية ويحقق لهم النصر، كذلك فإن القيادة على المستوى الأدنى كانت تفتقد الكفاءة والحكمة فعلى سبيل المثال فإن القوات التي قادها إيفان أوبيدوفسكي هيتمان القوزاق، قد اشتملت على عدد قليل من القوزاق الخُلص الذين كانت لديهم خبرة سابقة بآزوف وطبيعة الأراضي المحيطة بها، فقد آثر أوبيدوفسكي القوات البولندية التي دانت له بالطاعة والولاء، وكما يذكر بعض الكتاب الروس أمثال "سولوفييف" Soloviev أن قرى القوزاق التي كان يخرج منها للحرب مائة وخمسون رجلا، لم يصحب منهم أوبيدوفسكي خلال حملة آزوف الأولى سوى خمسة أو ستة رجال فقط مما أثر بشكل واضح على كفاءة قواته(١٠٥)، بالإضافة إلى حصول العثمانيين معلومات استخباراتية جيدة عن حالة القوات الروسية، وخططهم في الهجوم مما سهل عليهم إحباط مساعي هذه القوات.

حملة آزوف الثانية (١٦٩٦)

أدرك بطرس الأول بعد فشل محاولته الأولى للسيطرة على آزوف أن القلعة الساحلية المزودة بالمؤن والأغذية عبر البحر لا يمكن للقوات البرية أن تسيطر عليها بمفردها؛ فأدرك حاجته الماسة لإنشاء أسطول يُمَكِنُه من وضع المدينة تحت سيطرته الكاملة، فبدأ في إنشاء أحواض لبناء السفن(١٠٦)، وأحضر إليهم ما يزيد عن عشرين ألف عاملا من القرويين، وسكان المدن الروسية وبعض الحرفيين من النمسا وهولندا، وبحلول ربيع ١٦٩٦م أكتمل تصنيع ألف وستة وستين قاربا طويلا، ومائة بارجة للنقل النهري للمساعدة في نقل القوات والمؤن بشكل أسرع، كما أنشأ أسطولا مكونا من ثلاثين سفينة حربية كبيرة، وستين سفينة بحرية أصغر، وقد بلغ عدد قوات الأسطول أربعة آلاف فرد(١٠٧)، وعَيَنَ ليفورت قائدا عاما للقوات البحرية ومنحه لقب "أميرال قافلة البحر في الطريق السلس"، ومنحه راية خاصة به(١٠٨).

أما القوات البرية فهناك اختلاف بين المؤرخين حول عددها، فيذكر فاتح أونال Fatih ÜNAL أن بطرس الأول سار نحو آزوف في حملته الثانية بجيش قوامه مائة ألف شخص(١٠٩)، بينما يذكر ديفيز بريان أن عدد القوات البرية الروسية المحاصرة لآزوف بلغ سبعين ألفا، كان من بينهم خمسة عشرة ألفا من قوزاق الزابورجيان وخمسة آلاف من قوزاق الدون، وزيدت عدد كتيبة الفرسان إلى سبعة وعشرين ألفا؛ لحماية قوات الحصار بشكل أفضل في حالة إذا ما هاجمتهم القوات العثمانية وتتار القرم(١١٠)، ويذكر أندرو جانكو أن مجموع القوات البرية بلغ ثمانية وسبعين ألفا(١١١)، في حين تذكر المصادر الروسية عددا أقل من الأعداد السابقة، فيذكر بوبروفسكي أن الجيش الروسي المحاصر لآزوف عام ١٦٩٦م تكون من أربعين ألفا من المشاة بما في ذلك أربعة عشرة ألفا من القوزاق، بالإضافة إلى ستة عشرة ألفا من الفرسان كان من بينهم ستة آلاف فارس قوزاقي، وعهد بطرس الأول بالقيادة العامة للقوات الروسية إلى القائد الروسي ألكسي شين Aleksei Shein (١٦٦٢-١٧٠٠) (١١٢) تجنبا للخطأ الذي وقع فيه خلال حملة آزوف الأولى(١١٣).

في ٢٢ إبريل ١٦٩٦م أمر ألكسي شين القوات الروسية بالتحرك نحو آزوف، وفي اليوم التالي بدأت القوات الروسية تتحرك بالتعاقب نحو المدينة، واتخذت من تشيركاسك Cherkassk(١١٤) مقرا لتجمعها، وفي ٢٧ مايو دخل الأسطول الروسي بحر آزوف ومنع وصول الإمدادات إلى المدينة عن طريق البحر، وفي ٧ يونيو ١٦٩٦م وصل ألكسي شين إلى تشيركاسك، وبدأ الروس والقوزاق في فرض حصار شديد حول آزوف(١١٥).

لم تهتم الدولة العثمانية بإعادة تحصين قلعة آزوف بعد الحصار الذي تعرضت له من قبل الروس في العام السابق، كما لم تهتم بتغيير الجنود الذين أنهكم الحصار، ورغم ذلك حاول الفرسان العثمانيون وعدد من تتار القرم في ١٠ يونيو ١٦٩٦م مهاجمة القوات الروسية المحاصِرة للمدينة لكن هجومهم باء بالفشل، وقُتِلَ عدد كبير منهم على يد الروس وأُسِرَ عدد آخر، كذلك فشلت محاولتان قام بهما الأسطول العثماني في ٢٨ يونيو ثم في ١٣ يوليو ١٦٩٦م من أجل تعزيز حامية آزوف وإمدادها بالمواد الغذائية(١١٦).

حاولت القوات الروسية اختراق أسوار قلعة آزوف، لكن محاولاتهم باءت بالفشل، وفي ٢٢ يونيو ١٦٩٦م عرضت بعض القوات الروسية فكرة بناء سور متحرك لجعل الاقتراب من أسوار القلعة أكثر سهولة وأمانا، وافقت الرتب العليا في القيادة الروسية على هذا الاقتراح، وفي مساء اليوم التالي بدأ ألف شخص من القوات المحاصِرة في صب الأسوار الترابية(١١٧)، وفي ٤ يوليو تجاوزت هذه الأسوار أسوار القلعة في الارتفاع، وحرك الروس هذه الأسوار حتى صارت على بعد عشرين قدما من جدران قلعة آزوف، مما أزعج العثمانيين بشدة؛ فبسبب ارتفاع السور الترابي تمكنت المدفعية الروسية من إطلاق النيران بسهولة على العثمانيين، وأرسل الروس إلى القوات العثمانية على سهم اقتراح باستسلامهم طواعية، وتسليم المدينة، لكن العثمانيين ردوا بإطلاق نيران مدافعهم فكان ذلك إيذانا برفضهم فكرة الاستسلام(١١٨).

في ١٧ يوليو ١٦٩٦م وبعد ما يقرب من شهر ونصف من حصار قلعة آزوف قام ألفان من قوزاق الدون وقوزاق الزابورجيان تحت قيادة ليزوغوب Lizogob وفلورمينابيف Vlorminaev بهجوم مفاجئ على القلعة، ونجحوا في اقتحامها مما أربك القوات العثمانية المدافِعة عنها، وأجبروهم على التراجع خلف السياج الحجري والاحتماء به، وبعد فقد جزء من تحصينات المدينة، وفقد المحاصَرون الأمل في تلقي المساعدات الخارجية، أعلنت الحامية العثمانية المدافعة عن القلعة استسلامها في ١٩ يوليو، وطلبت الخروج الآمن من آزوف مع نسائهم وأطفالهم، فوافق ألكسي شين على ذلك بشرط تسليم جاكوب يانسن ومعاقباته جزءا لخيانته للروس(١١٩)، وفي اليوم التالي سيطر الروس على قلعة آزوف، وقد قوبل هذا الحدث بردود فعل عنيفة في الأستانة إذ عدها العثمانيون بمثابة كارثة كبرى(١٢٠).

عَد بعض المؤرخين انتصار الروس خلال حملة آزوف الثانية بمثابة أول انتصار روسي حقيقي على الدولة العثمانية، ورأى بعضهم أن سيطرة بطرس الأول على آزوف يعد "البداية الحقيقية للتأريخ لحياة بطرس الأول الراشدة"(١٢١)، كذلك عظم المؤرخون الروس أمثال فاسيلي

روبان هذا الانتصار وصدر كتابه الذي نشره عام ١٧٧٣م عن حملة الروس الثانية على آزوف بأن "ما حدث خلال حملة آزوف يستحق أن يكتب ويُخَط حتى لا ينسى... لقد عَلِمتُ أن الدولة الروسية قد طهرت عقولها وأخلاقها وصعدت إلى مرتبة الجلال والمجد"(١٢٢).

كذلك استقبل الروس نبأ إسقاط آزوف بفرح شديد، وبالغ المقيم الروسي في بولندا ستولنيك ألكسي نيكتين Stolnik Alexei Nikitin في الثناء على بطرس الأول عقب هذا الانتصار، ففي رسالته التي أرسلها له لتهنئته بالسيطرة على آزوف ونقلها سولوفييف في كتابه، وصف نيكتين بطرس الأول بالشمس المشرقة، وأنه لا يمكن مقارنته بأي مخلوق آخر سوى الشمس؛ لأنه أضاء العالم المسيحي بانتصاراته المبهجة على الأعداء العثمانيين(١٢٣)، كما صور الفنانون الأوربيون ومنهم الفنان الهولندي أدريان شونبيك Adriaan van Schoonebeek (١٦٦١-١٧٠٥) انتصارات بطرس الأول خلال حملته الثانية على آزوف في لوحات متعددة عظمت هذه الانتصارات بصورة واضحة(١٢٤).

عادت القوات الروسية إلى موسكو في ٣٠ سبتمبر ١٦٩٦م وقد تزينت المدينة -على حد قول بوبروفسكي-، وبُنيت فيها بوابات النصر ذات الحجم الكبير؛ من أجل استقبال القوات المنتصرة العائدة من آزوف، الذين دخلوا موسكو في موكب احتفالي ضخم، تصحبهم كلمات أندريه فينوس Andre Venus الذي وجه خطابه لبطرس الأول قائلا: "جنرال، أدميرال، قائد جميع القوات البحرية، ذهبت ورأيت العدو المتكبر فهزمته"، وقد كرم بطرس الأول القادة والضباط والجنود المشاركين في إسقاط آزوف، ومنحهم الهدايا والميداليات الذهبية كل حسب رتبته في الجيش، وقد احتفى بألكسي شين احتفاءا بالغا، فمنحة إقطاعا، وكأسا وميدالية ذهبية(١٢٥).

بعد السيطرة الروسية على آزوف اهتم بطرس الأول بشئون البحرية اهتماما واضحا، وأصبحت إعادة هيكلة البحرية الروسية الشغل الشاغل للقيصر ومعاونيه، وفي نوفمبر ١٦٩٦م اتخذ قرارا ببدأ بناء البحرية وفقا للأسس المنهجية السليمة، وعمل القيصر بنفسه في حوض بناء السفن في فورونيج(١٢٦)، كما أنشأ الروس أول قاعدة بحرية عسكرية على ساحل بحر آزوف عند موقع تاجونروغ Taganrog، وأرسل أكثر من خمسين من النبلاء الروس إلى إيطاليا وإنجلترا وهولندا للتعرف على الملاحة البحرية وبناء السفن، وفي ربيع عام ١٦٩٧م سافر بطرس الأول إلى أوروبا لإيجاد حلفاء جدد في الصراع مع الدولة العثمانية، ولإقناع الإمبراطورية النمساوية بمواصلة الحرب، وإحكام سيطرتهم على البحر الأسود، لكن هذه الفكرة لم توافق عليها دول التحالف

المقدس التي كانت تستعد لإبرام الصلح مع الدولة العثمانية، وعلى الرغم من توقيع النمسا والبندقية وبولندا معاهدة سلام مع الدولة العثمانية في كارلوفيتز Karlowitz عام ١٦٩٩م[١٢٧]، إلا أن روسيا رفضت الانضمام إلى هذه المعاهدة حفاظا على المكاسب التي حققتها خلال حملة آزوف الثانية، ولرغبتها في تنازل العثمانيين لها عن كيرتش[١٢٨] لتأمين وجودها على سواحل البحر الأسود[١٢٩].

وقعت روسيا مع الدولة العثمانية معاهدة منفردة هي معاهدة "استانبول" عام ١٧٠٠م، تركت بموجبها الدولة العثمانية لروسيا قلعة آزوف ومحيطها بما يعادل ثمانين كيلو متر مربع، وفي المقابل تعهدت روسيا أن تعيد للدولة العثمانية القلاع الأربعة التي استولت عليها على سواحل نهر الدنيبر، كما تضمنت المعاهدة اعترافا من الدولة العثمانية بروسيا كدولة مستقلة، وبالتالي لم تعد ملزمة بدفع الجزية التي كانت تدفعها لخان القرم، وألا يقوم خان القرم أو رعاياه بمهاجمة الروس حفاظا على السلام بين الدولتين[١٣٠]، وبالنظر لبنود هذه المعاهدة يتضح أن روسيا قد استفادت كثيرا من سيطرتها على آزوف كورقة ضغط خلال المفاوضات التي سبقت إبرام الصلح بين الدولتين.

على الرغم من انتهاء القرن السابع عشر الميلادي بفقدان الدولة العثمانية لآزوف، وعدم اتخاذ السلطان مصطفى الثاني (١٦٩٥-١٧٠٣) خطوة إيجابية نحو استردادها، إلا السلطان أحمد الثالث (١٧٠٣-١٧٣٠) الذي خلفه في الحكم وشهدت الدولة العثمانية في عهده انتعاشا ملحوظا؛ حرص على استعادة الأماكن التي فقدتها الدولة العثمانية في صلح كارلوفيتز، ومعاهدة استانبول، وبمجرد توليه الحكم أبدى استياءه من سيطرة الروس على آزوف وأمر الصدر الأعظم محمد بلطجي (١٧١٠-١٧١١) باتخاذ خطوات فعالة لاسترداد المدينة من أيدي الروس؛ فأعلنت الدولة العثمانية الحرب ضد روسيا في ١٠ نوفمبر ١٧١٠م[١٣١]، فبادرت القوات الروسية بدخول إمارة البغدان، ولكن القوات العثمانية نجحت في تطويقهم وأنزلت بهم هزيمة واضحة، ورغم ذلك فقد قبل الصدر الأعظم محمد بلطجي عرض الروس للصلح[١٣٢]، ووقع الطرفان في ١٢ يوليو ١٧١١م معاهدة "بروث" Pruth التي نصت على استعادة الدولة العثمانية لقلعة آزوف، وأن يهدم الروس جميع القلاع التي شيدوها داخل الأراضي العثمانية، لكن الروس ماطلوا في تسليم القلعة؛ مما دفع السلطان أحمد الثالث لعزل الصدر الأعظم محمد بلطجي باشا في ٢٠ نوفمبر ١٧١١م، وأعلن من جديد الحرب على روسيا، ولكن تدخل إنجلترا وهولندا لحسم الخلاف خوفا على مصالحهما التجارية جعل الطرفين المتنازعين يقبلان الصلح، ووقعا

معاهدة "أدرنة" في٥ يونيو ١٧١٣م التي أكدت فيها روسيا على تنازلها للدولة العثمانية عن "قلعة آزوف"(١٣٣).

ومن العرض السابق يتضح كيف كانت آزوف أحد بؤر الصراع المهمة ذات الثقل التاريخي والاستراتيجي في المنطقة على سواحل نهر الدون وشمال البحر الأسود، وكيف حاولت القوى السياسية إحكام سيطرتها على المدينة ولاسيما خلال القرن السابع عشر الذي بدأت فيه عوامل الضعف تفت في عضد الدولة العثمانية، وكان لسيطرة هذه القوى السياسية على آزوف – ولو لبعض الوقت– أثره الواضح على مركز الدولة العثمانية دوليا، مثلما حدث أثناء سيطرة قوزاق الدون على آزوف عام ١٦٣٧م والذي ترتب عليه خروج خان القرم عن السيادة العثمانية، كما كان لهذا النصر القوزاقي أثرا على مجريات أحداث الحرب الصفوية العثمانية المحتدمة آنذاك؛ ولهذا حرص السلاطين العثمانيون على استعادة آزوف كلما فقدوها طالما تستطيع الدولة أن تشن حربا من أجل ذلك، ولكن مع حالة التدهور الشديدة التي عانت منها الدولة العثمانية خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وتحقيق الروس انتصارات جلية على القوات العثمانية خلال الحرب الروسية العثمانية (١٧٦٨-١٧٧٤) أجبرت روسيا الدولة العثمانية على التنازل نهائيا عن آزوف بموجب اتفاقية كوتشك قينارجه Kuchuk-Kainarji ١٧٧٤م مما سمح للأسطول الروسي الوصول مباشرة إلى البحر الأسود.

الملاحق

ملحق رقم (١)

الخرائط والمخططات

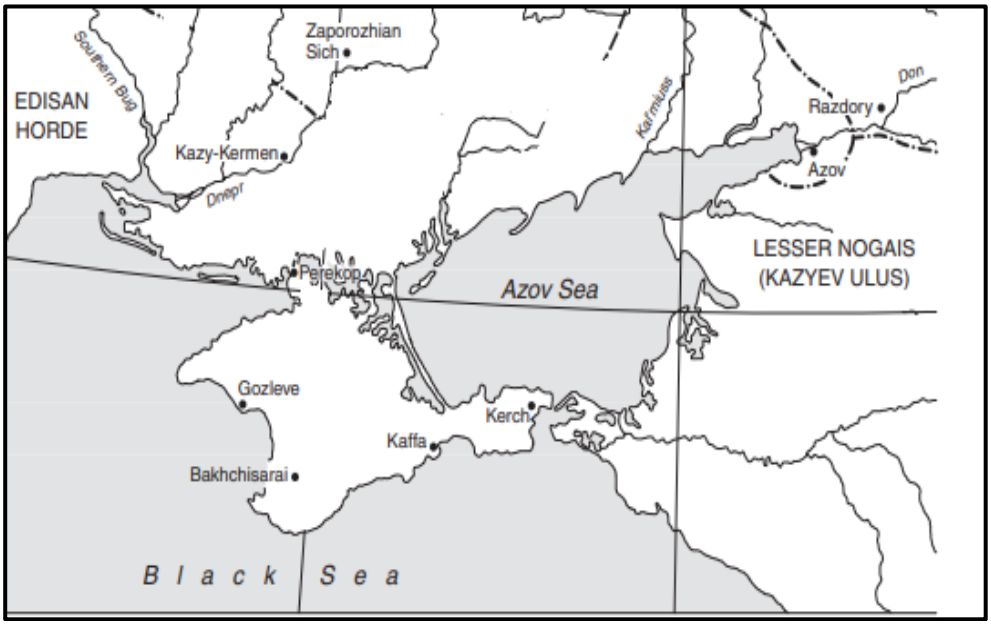

خريطة رقم (1) توضح الموقع الجغرافي لآزوف والقوى المجاورة لها خلال القرن السابع عشر[١٣٤].

خريطة رقم (٢) توضح الموقع الجغرافي لمستعمرة "تانا" القديمة[١٣٥].

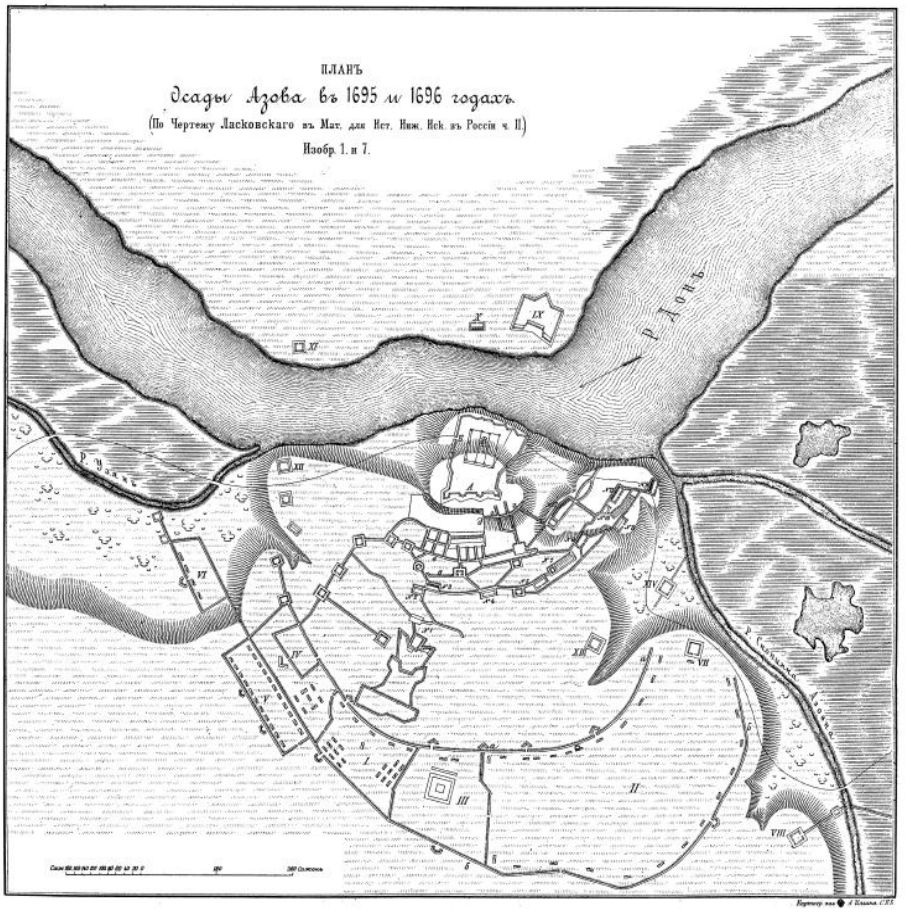

مخطط رقم (١) يوضح حصار الروس لآزوف عام ١٦٩٦م[١٣٦].

ملحق رقم (٢)

الصور والنقوش

نقش رقم (١) يوضح انتصار الروس وسيطرتهم على آزوف من تصميم الفنان الهولندي أدريان شونبيك .Adriaan van Schoonebeek[١٣٧]

10. Peter the Great, *Allegory on the victory at Azov*, also called *Victory of Christendom over Islam* (etching, 1698). Amsterdam, Rijksprentenkabinet, Rijksmuseum.

نقش رقم (٢) يوضح انتصار بطرس الأكبر في أزوف يكمل تصميم الفنان الهولندي أدريان شونبيك [١٣٨].

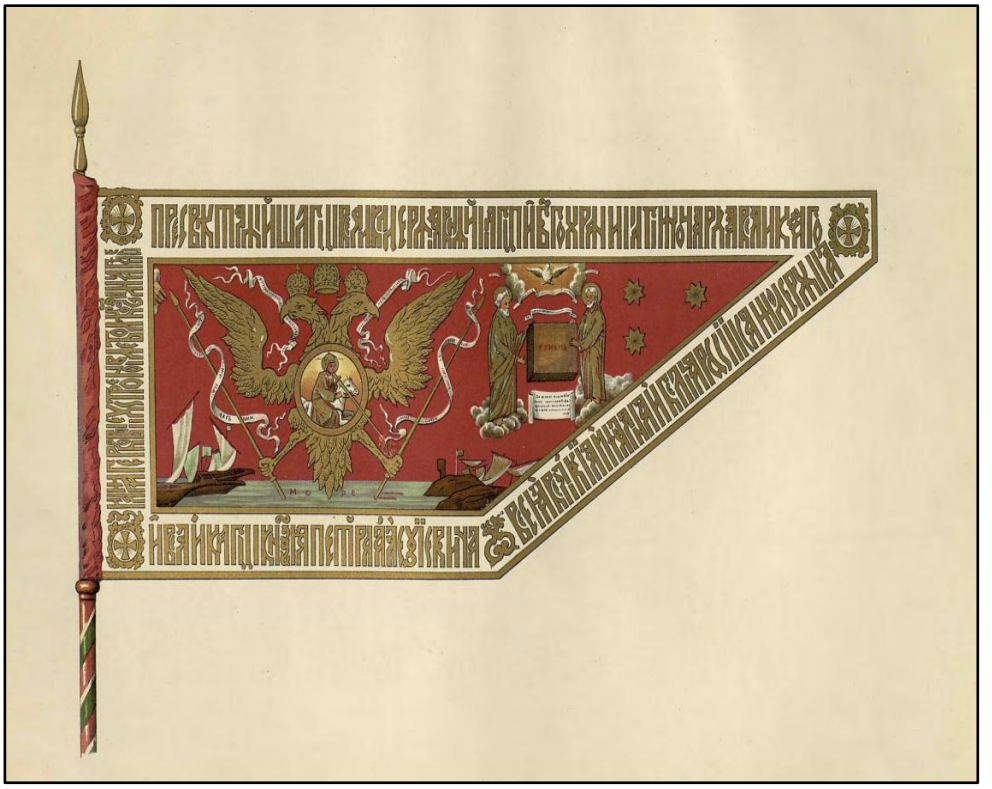

صورة رقم (١) توضح الراية الممنوحة لليفورت قائد القوات البحرية الروسية خلال حملة آزوف الثانية[١٣٩]

.

الهوامش

(1) Fisher, Alan W., "Azov in the Sixteenth and Seventeenth Centuries", Jahrbücher für Geschichte Osteuropas, Neue Folge, Bd. 21, H. 2, 1973.

(2) Janco, Andrew, p., "Training in The Amusements of Mars: Peter The Great, War Games and The Science of War 1673-1699", Russian History, Vol. 30, No.1-2,(Spring- Summer 2003).

(3)YÜKSEL, Sinan, "Don Kazaklarının Azak'ı İşgalleri (1637-1642)", Tarih Araştırmaları Dergisi, Cilt 30 , Sayı 49, 2011.

(٤) انظر ملحق رقم ١، خريطة رقم (١) التي توضح الموقع الجغرافي لآزوف والقوى المجاورة لها خلال القرن السابع عشر.

(٥) انظر ملحق رقم ١، خريطة رقم (٢) التي توضح الموقع الجغرافي لمستعمرة "تانا" القديمة.

(٦) منذ بداية القرن الثالث قبل الميلاد وعلى مقربة من موقع آزوف الحالي أسس اليونانيون من مملكة البسفور السيميرية Cimmerian Bosporus مستعمرة "تانا"، كان ازدهارها قائما على اهتمامها بالتجارة وتصديرها للقمح والسمك والعبيد، لكنها أُحرِقت في الثلث الأخير من القرن الأول قبل الميلاد على يد الملك بوليمون الأول Polemon I (٣٧-٨ ق.م) ملك بونتوس Pontus، لكن المستعمرين اليونانيين حرصوا على إعادة إحياء المستوطنة وشهد القرنان الأول والثاني الميلاديين عصرا ذهبيا لها، ثم دمرت "تانا" مرة أخرى على يد القوط خلال القرن الثالث الميلادي، ولم تستعد المدينة أهميتها التجارية إلا بعد أن سيطر عليها كارادش Karadashزعيم قبيلة أكاتزيري Akatziri التي بسطت نفوذها على المنطقة شمال البحر الأسود خلال القرن الخامس الميلادي، ثم أعلن تبعيتها لمملكة الهون Huns، وفي أواخر القرن السابع الميلادي خضت المدينة لسيطرة الخزر، وحينما فتت عوامل الضعف في عضد دولتهم خلال القرن العاشر الميلادي انتقل حكم المدينة إلى الإمارة السلافية تموتاراكان Tmutarakan التي سيطرت عسكريا وتجاريا على مضيق البسفور السيميري وسواحل البحر الأسود، وظلت المدينة في أيديهم حتى عام ١٠٦٧م، حينما استولى عليها الفقجاق Qipchaq، وأطلقوا على هذه المستعمرة اسم آزاك Azaq أي الأرض المنخفضة ومنها اشتق اسمها الحديث انظر:

- Minns, E.H., "Bosporus Cimmerius", Encyclopedia Britannica, Vol. 4, Cambridge University Press, 1911, pp. 286–287; Given, john, "The Fragmentary History of Priscus: Attila, the Huns and the Roman Empire, AD 430–476", Christian Roman Empire Series, Vol.11, New Jersey: Evolution Publishing, 2014, pp. 54-56.

(7) Fisher, Alan W., op.cit., p.162.

(8) Pubblici, Lorenzo, "Venezia e il Mar d'Azov: alcune considerazioni sulla Tana nel XIV secolo", Archivio Storico Italiano, Vol. 163, No. 3, luglio-settembre 2005, pp.479-482.

(9) Imber, Colin, The Ottoman Empire, 1300-1650: The Structure of Power, Third Edition, London : Red Globe Press, 2019, p. 25.

تحول البحر الأسود إلى بحيرة عثمانية نظرا للفتوحات العثمانية التي تمت في عهد السلطان محمد الثاني في الفترة من ١٤٥٣م حتى ١٤٨٠م حينما سيطر العثمانيون على دلتا الدانوب، وأديرت مدنه من خلال إنشاء إيالتين، الأولى: هي إيالة كيفي Kefe، وقد شملت مدن كيفي (كافا) Caffa، وسوداك Sudak، كيلبرن Kilburun، وإكرمان Akkerman، وكيرتش Kerch، وآزوف، أما الثانية فكانت إيالة أوزو Özü (أوكاكوف Ocakov) وضمت ولايات سيليسترا Silistre، ونيجبولو Nigbolu، وكيرمن Chermen، وفيدين Vidin، وكيركيليس Kirkkilise، وفيز Vize، وشواطئ نهر الدانوب. لمزيد من التفاصيل انظر:

-Fisher, Alan W., op.cit., p.163, Ágoston, Gábor, "Military Transformation in the Ottoman Empire and Russia, 1500–1800, Kritika: Explorations in Russian and Eurasian History", Slavica Publishers, Volume 12, Number 2, Spring 2011 (New Series), p. 288.

(10) Тихонов Ю. А., "Азовское сидение", Вопросы истории, № 8, 1970, С. 99.

(11) Zhyvachivskyi, Andrii, "The Governors of Kefe and Azak in Ottoman-Muscovite Relations in The Fifteenth- Seventeenth Centuries and The Issue of Titulature", Acta Poloniae Historica, No.115, 2017, p.218.

(12) Fisher, Alan W., op.cit., p.162.

(13) Ignace, Antoine, Essai historique sur le commerce et la navigation de la Mer Noire, Paris: chez H. Agasse, imprimeur-libraire, 1805, p.6; Lemercier-Quelquejay, Chantal, "Un condottiere lithuanien du XVIe siècle: le prince Dimitrij Viãneveckij et l'origine de la Sei Zaporogue d'après les Archives ottomans", Cahiers du Monderusse et soviétique,Vol. 10, N. 2, Avril-Juin 1969, p. 271.

(14) DEVLET ARŞİVLERİ GENEL MÜDÜRLÜĞÜ, Osmanlı Arşivi Daire Başkanlığı, Yayın Nu: 21, Dîvân-ı Hümâyûn Sicilleri Dizisi: II, 5 NUMARALI MÜHİMME DEFTERİ (973 / 1565–1566), ANKARA: 1994, S. 86.

(١٥) مجموعة عرقية تنتمي إلى السلاف الشرقيين، اختلفت المصادر حول أصل كلمة قوزاق، فتشير بعض الكتابات أن Kazak التركية مشتقة من كلمة خزر وهي مترادفة في لغات شرق أوروبا مع كلمة تتري، ومغولي، وتركي، ومنذ بداية القرن السادس عشر الميلادي أشارت إلى جماعة من الأقنان السلاف المسيحيين الذين فروا من ضياع النبلاء في روسيا وأوكرانيا، واستقروا في السهوب الجنوبية على ضفاف أنهار الدنيبر Dnieper، والدنيستر Dniester والدون، ومع نهاية القرن السادس عشر حولوا المناطق التي يقيمون فيها إلى مستوطنات ثابتة، وبخلاف ذلك يذكر ويتزنراث Witzenrath أن مصطلح القوزاق يُطلق على مجموعات التتار شبة المستقلة أو "الرجال الأحرار" الذين سكنوا السهوب شمال البحر الأسود، في حين تذكر بعض الكتابات أنها كلمة تترية تعني المتجول "Wanderer" أطلقت على الأشخاص القاطنين في المناطق الحدودية لروسيا، والذين كانوا دائمي التجول والترحال. انظر:

-O'Rourke, Shane, Warriors and Peasants The Don Cossacks in Late Imperial Russia, First published, Oxford: ST Antony's College, 2000, p. 20; Witzenrath, Christoph, Cossacks and the Russian Empire, 1598-1725: Manipulation, Rebellion and Expansion into Siberia, Routledge studies in the History of Russia and Eastern Europe, 1st Edition, 2007, p. 35-36.

(16)Zhyvachivskyi, Andrii, op.cit., p. 221.

(17)DEVLET ARŞİVLERİ GENEL MÜDÜRLÜĞÜ, Osmanlı Arşivi Daire Başkanlığı, Yayın Nu: 21, Dîvân-ı Hümâyûn Sicilleri Dizisi: II, 5 NUMARALI MÜHİMME DEFTERİ (973 / 1565–1566), S. 18.

(18) Ibid, S. 84.

(19)YÜKSEL, Sinan, Don Kazaklarının Azak'ı İşgalleri (1637-1642), S. 207.

(٢٠) في عهد إيفان الرابع استولى الروس للمرة الأولى على ولايتين عثمانيتين هما قازان Kazan عام ١٥٥٢م، ثم إسترخان Astirkhan عام ١٥٥٦م، في وقت كانت فيه الدولة العثمانية في أوج ازدهارها وقوتها في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦)، لكن الروس استغلوا انشغال الدولة العثمانية بحروبها مع النمسا واحتلوا هاتين الإمارتين، وقد شارك قوزاق الدون تحت قيادة هيتمان سوسار فيدوروف Susar Fedorov في

حصار قازان وإسقاطها، كما شاركوا بقيادة هيتمان ليابون فيليمونوف Lyapun Filimonv في إسقاط إسترخان. انظر:

- Guilmartin, John F., "Ideology and Conflict: The Wars of the Ottoman Empire, 1453-1606", The Journal of Interdisciplinary History, Vol. 18, No. 4, The Origin and Prevention of Major Wars (Spring, 1988), p. 740.

(21)YÜKSEL, Sinan, Don Kazaklarının Azak'ı İşgalleri, S. 208.

(22)Fisher, Alan W., op.cit., p.162.

(23)Inalcik, Halil, "Servile Labor in the Ottoman Empire" in: The Mutual Effects of the Islamic and Judeo-Christian Worlds: The East European Pattern, Brooklyn: Brooklyn College, 1979, p.39; НИКИТИН, Н.И., "Азовская эпопея 1637—1641 гг. и её последствия", Военно-исторический журнал, № 9, 2015, С. 45.

(24)Попов М., Азовская оборона (страница из истории донского казачества XVII в.), Исторический журнал, №3, 1945,С. 47.

(٢٥) في عام ١٥٤٥م هاجم أربعة آلاف من القوزاق قلعة آزوف وتعرضت المدينة على إثر هذا الهجوم لأضرار بالغة، ولكن القوات العثمانية استطاعت إبعادهم عن المدينة، وفي عام ١٥٥٩م تعرضت قلعة آزوف وضواحيها لهجوم شديد من قبل قوزاق الدون نجم عنه أضرار بالغة، فكثرت شكاوى ولاة كيفي وآزوف من هذه الهجمات المتتالية، فأصدر السلطان سليمان القانوني أمرا بتاريخ ١٣ نوفمبر ١٥٦٥م لخان القرم دولت الأول جيراي Devlet I Giray (١٥٥١-١٥٨٨) بأن يبذل قصارى جهده لحماية آزوف كي يعيش أهلها في سلام ورخاء، وأردفه بآخر بتاريخ ٧ مارس ١٥٦٦م لزيادة عدد السفن اللازمة للدفاع عن آزوف، وإمداد والي المدينة بعدد كاف من المحاربين الذين يمكنهم استخدام البنادق لمواجهة أي هجوم من قبل القوزاق، لكن هذه الإجراءات لم ترهب القوزاق الذين شنوا في عام ١٥٧٤م هجوما جديدا على المدينة، وأسروا بعض سكانها بما في ذلك صهر السلطان سليم الثاني (١٥٦٦-١٥٧٤). انظر:

- DEVLET ARŞİVLERİ GENEL MÜDÜRLÜĞÜ, Osmanlı Arşivi Daire Başkanlığı, Yayın Nu: 21, Dîvân-ı Hümâyûn Sicilleri Dizisi: II, 5 NUMARALI MÜHİMME DEFTERİ (973 / 1565–1566), S. 83-84, S.186, S. 203.

وانظر أيضا:

- Тихонов Ю. А., op.cit., C. 99.

(26)O'Rourke, Shane, op.cit., p. 31.

(27)YÜKSEL, Sinan, "Rusların Karadeniz Yönünde Yapmış Oldukları İlk Yayılma Faaliyetleri (18. Yüzyılın Başlarına Kadar)", Sosyal Bilimler Dergisi, SDÜ Fen Edebiyat Fakültesi, Sayı: 28, Nisan 2013, S. 208.

(28) Новосельский, А. А., Борьба Московского государства с татарами в первой половине XVII века, М.: Издательство Академии Наук СССР, 1948, СС. 47-52.

(٢٩)هاجم القوزاق سينوب Sinop عام ١٦١٤م، وحينما تصدت لهم القوات العثمانية قاموا بإحراق قلعتها، وأسروا عددا من نساء المدينة وأطفالها، ثم هاجموا طرابزون Trabzon في العام التالي؛ مما تسبب في توتر العلاقات الروسية العثمانية. انظر:

DEVLET ARŞİVLERİ GENEL MÜDÜRLÜĞÜ, Osmanlı Arşivi Daire Başkanlığı, Yayın Nu: 54, Dîvân-ı Hümâyûn Sicilleri Dizisi: VII, 83 NUMARALI MÜHİMME DEFTERİ (1036-1037 / 1626–1628), ANKARA: 2001, S. 69.

وفي الفترة بين عامي ١٥٧٤م حتى ١٦٣٤م عانت إكرمان Ackermann عند مصب نهر الدنيستر مما لا يقل عن أربع عشرة غارة. انظر:

Ágoston, Gábor, op.cit., p. 289.

(30)DEVLET ARŞİVLERİ GENEL MÜDÜRLÜĞÜ, Osmanlı Arşivi Daire Başkanlığı, Yayın Nu: 54, Dîvân-ı Hümâyûn Sicilleri Dizisi: VII, 83 NUMARALI MÜHİMME DEFTERİ (1036-1037 / 1626–1628), S. XX.

(31)Тихонов Ю. А., op.cit., C. 99.

(32)Новосельский, А. А., op.cit., C. 132.

(٣٣) في أوائل القرن السابع عشر ومع تزايد الاضطرابات الداخلية في روسيا دخلت القوات البولندية موسكو عام ١٦١٠م واحتلت الكرملين، وفي خريف ١٦١٢م شنت القوات الروسية عملا عسكريا ضد بولندا، ونجحت في تحرير موسكو من السيطرة البولندية، تلى ذلك تحرير جميع الأراضي الروسية، لكن الصراع بين الدولتين ظل مستمرا حتى وقع الطرفان معاهدة ديولينو Deulino للسلام عام ١٦١٨م، إلا أن هذه المعاهدة لم تقض على المشكلات القائمة بين البلدين، ولكنها خلقت وضعا خطيرا لروسيا؛ فقد تنازلت روسيا لبولندا عن سمولينسك

Smolensk بالإضافة إلى عدد من المناطق الأخرى المحصنة؛ مما منح بولندا فرصة الاقتراب من المراكز المهمة والحيوية في روسيا بشكل يؤثر على أمنها واستقلالها، ولهذا انتهجت روسيا سياسة إقرار السلام في الجنوب ولم ترغب في إثارة المشكلات مع الدولة العثمانية، ولهذا تسببت هجمات قوزاق الدون على الأراضي العثمانية في وضع روسيا في موقف حرج. انظر:

- YÜKSEL, Sinan, "Rusların Karadeniz Yönünde Yapmış Oldukları İlk Yayılma Faaliyetleri", S. 107.

(34)O'Rourke, Shane, op.cit., p. 31- 32.

(35) Boeck, Brian J., "The Siege of Azov in 1641: Military Realities and Literary Myth", in Warfare in Eastern Europe 1500-1800, Leiden: Brill, 2012, p. 173.

(36)O'Rourke, Shane, op.cit., p. 32.

(37)Тихонов Ю. А., op.cit., C. 99.

(38)Başbakanlık Osmanlı Arşivi, Yabancı Arşivler Fonu, Rusya Federasyonu Arşivi, YB (1)1/12 in: YÜKSEL, Sinan, Don Kazaklarının Azak'ı İşgalleri, S. 208-210.

(٣٩) كان أشهر هذه الثورات ثورة أباظة محمد باشا (١٥٧٦- ١٦٣٤) محافظ أرضروم، ومحاولة أحد ضباط الإنكشارية ويدعى بكر صوباشي (ت ١٦٢٤) السيطرة على بغداد، وإجبار الباب العالي الاعتراف به كوال على المدينة عام ١٦٢١م، ثم سقوط بغداد نفسها في أيدي الصفويين في ١٤ يناير ١٦٢٤م، وما قاموا به من مذبحة كبيرة استهدفت أهل السنة، وقد مثل سقوط بغداد ضربة قاصمة للهيبة العثمانية، بدأت بعدها الحاميات العثمانية والقبائل المحلية في الانشقاق، وقد فشلت كل محاولات القادة العثمانيين في استرداد المدينة حتى خرج السلطان مراد الرابع بنفسه عام ١٦٣٥م على رأس الجيش لمحاربة الصفويين. انظر:

Roemer, H. R, "The Safavid Period", Cambridge: Cambridge University Press, 1986, p. 284-286; Canbakal, Hülya, "The Ottoman State and Descendants of the Prophet in Anatolia and the Balkans (c. 1500-1700)", journal of the Economic and Social History of the Orient, Vol. 52, No. 3, 2009, p. 259-260.

(40) DEVLET ARŞİVLERİ GENEL MÜDÜRLÜĞÜ, Osmanlı Arşivi Daire Başkanlığı, Yayın Nu: ٥٤, Dîvân-ı Hümâyûn Sicilleri Dizisi: VII, 83 NUMARALI MÜHİMME DEFTERİ, S. 73.

(٤١) يمثل الهيتمان رأس السلطة الحاكمة للقوزاق خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، وفي بعض الأحيان يعين هيتمان "بالوكالة" من قبل الهيتمان الحاكم نفسه، وأحيانا يُنتَخب من قبل المجلس العسكري العام للقوزاق، كذلك عُين بعض الهيتمانات بشكل مفاجئ لقيادة مجموعة من القوات في جبهات عسكرية متعددة نيابة عن الهيتمان الأول. انظر:

- Oleksander Ohloblyn, Acting hetman, the Encyclopedia of Ukraine, vol. 1 (1984) http://www.encyclopediaofukraine.com/, (25 September 2022).

(42) SÖYLEMEZ, Yavuz,"OSMANLI SARAYINDA KATLEDİLEN BİR KIRIM HANI: İNAYET GİRAY HAN", Karadeniz Araştırmaları, XIV/55, Güz 2017, S. 215- 216.

(43) НИКИТИН, Н.И., op.cit., С. 45.

(44) Новосельский, А. А., op.cit., С. 257.

(٤٥) تجدر الإشارة إلى أن ولاة كيفي وآزوف كانت تربطهم في بعض الأحيان صلات مباشرة بحكام روسيا، فأُطلِقَ عليهم في الوثائق الروسية اسم Prijateli "Приятели" وهو مصطلح شبة رسمي يعني "الأصدقاء". انظر:

- Zhyvachivskyi, Andrii, op.cit., p. 221

(46) YÜKSEL, Sinan, Don Kazaklarının Azak'ı İşgalleri, S. 213 .

(47)НИКИТИН, Н.И., op.cit., С. 45.

(48)Ibid, С. 45.

(49) Boeck, Brian J., op.cit., p. 174; НИКИТИН, Н.И., op.cit., С.45.

(50) Creasy, Edward Shepherd, History of the Ottoman Turks: From the Beginning of their Empire to the Present Time, London: Richard Bentley and Son, 1877, p. 286.

(51) Rambaud, Alfred, Russia, Translated by: Lang, Leonora B. and Saltus, Edgar, Vol.1, New York: Peter Fenelon Collier, 1898, p. 26.

(٥٢) انظر على سبيل المثال:

- Попов М., op.cit., С. 47; Тихонов Ю. А., op.cit., С. 99-110.

(53)Boeck, Brian J., op.cit., 2012, p. 174.

(54) Попов М., op.cit., С. 47.

(55) Davies, Brian L., Warfare, State and Society on the Black Sea Steppe, 1500–1700, First published, London: Routledge, 2007, p. 89-90.

(56)НИКИТИН, Н.И., op.cit., С. 46.

(57)YÜKSEL, Sinan, Don Kazaklarının Azak'ı İşgalleri, S. 215.

(58)Ibid, S. 211.

(59)Попов М., op.cit., С. 47.

(60) Гайворонский, Олекса, Повелители двух материков. Том II: Крымские ханы первой половины XVII столетия в борьбе за самостоятельность и единовластие, Киев-Бахчисарай; 2009, СС. 237-242.

(61)Новосельский, А. А., op.cit., С. 257-261.

(62)НИКИТИН, Н.И., op.cit., С. 46.

(63)YÜKSEL, Sinan, Don Kazaklarının Azak'ı İşgalleri, S. 214.

(64)НИКИТИН, Н.И., op.cit., С. 46.

(65)Гайворонский, Олекса,op.cit., СС. 237-242.

(٦٦) اختلف المؤرخون حول عدد القوات العثمانية التي حاصرت آزوف؛ فيبالغ المؤرخون الروس في هذا العدد؛ حيث قدرهم بوبوف Popov بمائتين وأربعين ألف جندي منهم خمسين ألفا من تتار القرم، وذكر جيفورنسكي Gaivoronsky أن عددهم بلغ مائتي ألف منهم ستون ألفا من سكان القرم، في حين يذكر المؤرخ الأمريكي ديفيز بريان أن عدد القوات العثمانية تراوح من سبعين إلى ثمانين ألف رجل. انظر:

Попов М., op.cit., С. 48; Гайворонский, Олекса, op.cit., С. 261; Davies, Brian L., op.cit., p. 90.

(67) Попов М., Ibid, С. 48.

(٦٨) عد بعض المؤرخين هذا الدور من أشهر مآثر نساء القوزاق؛ فما قمن به عام ١٦٤١م لم يكن مجرد حادثة منفردة، بل استمرت مشاركتهم في النواحي العسكرية لتشكل جزءًا من حياة نساء القوزاق حتى القرن التاسع عشر. انظر:

- O'Rourke, Shane, op.cit., p. 138.

(٦٩) في هذه الأثناء توفي حسين باشا حاكم سلسترا، وبهادير جيراي خان بعد إصابتهما بمرض شديد. انظر:

-Davies, Brian L., op.cit., p. 90.

(70)YÜKSEL, Sinan, Don Kazaklarının Azak'ı İşgalleri, S. 213 .

(71)НИКИТИН, Н.И., op.cit., С. 49.

(72) YÜKSEL, Sinan, Don Kazaklarının Azak'ı İşgalleri, S. 213 .

(73) Davies, Brian L., op.cit., p. 90.

(74) YÜKSEL, Sinan, "Rusların Karadeniz Yönünde Yapmış Oldukları İlk Yayılma Faaliyetleri", S. 109.

(٧٥) قاد هيتمان القوزاق الزابورجيان في أوكرانيا بوهدان خميلنيتسكي Bohdan Khmelnytsky (١٦٤٨-١٦٥٧) تمردا ضد الحكم البولندي لأوكرانيا منذ عام ١٦٤٨م، وفي العام التالي أرسل إلى القيصر الروسي أليكسي ميخايلوفيتش Alexis Mikhailovich (١٦٤٥-١٦٧٦) يطلب دخول قوزاق الزابورجيان تحت حمايته، لكن حكومة موسكو رفضت هذا العرض؛ لعدم استطاعتها دخول حرب ضد بولندا خلال تلك الفترة، وفي عام١٦٥٠م كرر خميلنيتسكي نفس الطلب ورفضته حكومة موسكو للمرة الثانية، فسعى للحصول على دعم الدولة العثمانية وخانية القرم للتخلص من الهيمنة البولندية، لكن الدولة العثمانية لم تتبع سياسة نشطة ضد البولنديين، فتكرر طلب قوزاق الزابورجيان في عام١٦٥٣م بالدخول تحت حماية روسيا، لكن هذه المرة وافق مجلس الدولة عليه، ووقع قوزاق الزابورجيان مع روسيا معاهدة بيرياسلاف ١٨ يناير ١٦٥٤م. انظر:

Pereyaslav Agreement, Encyclopedia Britannica, https://www.britannica.com/event/Pereyaslav-Agreement (15 September 2022).

(76) YÜKSEL, Sinan, "Rusların Karadeniz Yönünde Yapmış Oldukları İlk Yayılma Faaliyetleri", S. 109-110.

(٧٧) كانت هذه الدول هي: النمسا، والكومنولث البولندي الليتواني، والبندقية والولايات البابوية، وإسبانيا، ودوقية توسكانا الكبرى، وفرسان مالطة، ولم تكن هذه المرة الأولى التي تتحد فيها الدول الأوروبية لإنزال الهزيمة بالعثمانيين، ولكن حدث ذلك في عام ١٣٧١م، وعام ١٣٨٩م، وعام ١٥٧١م. لمزيد من التفاصيل انظر:

- يلماز أوزوتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سليمان، مراجعة وتنقيح محمود الأنصاري، الطبعة الأولى، المجلد الأول، إستانبول: منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، ١٩٨٨، ص ٥٤٣؛ وانظر أيضا:

-Bideleux, Robert, Jeffries, Ian, Jeffries, A History of Eastern Europe: Crisis and Change, London, 1999, pp. 63-65.

(٧٨) ابنه القيصر أليكسي ميخايلوفيتش، حينما وصل أخوها بطرس إلى عرش روسيا في عام ١٦٨٢م وكان عمره تسع سنوات وضعته تحت وصايتها بقرار من مجلس النبلاء، ثم أقصته عن الحكم نهائيا، وأرسلته إلى أحد الأديرة القريبة من موسكو، وكان به عدد من الأجانب فتأثر بطرس بأفكارهم، وأقبل على تعلم اللغات الألمانية

والهولندية، وفي عام ١٦٨٩م قام بطرس بمساعدة أعوانه بالقبض عليها، وحبسها في أحد الأديرة وتسلم السلطة. انظر:

- Dukes, Paul, A History of Russia Medieval, Modern, Contemporary, C.882-1996, Third Edition, London, Macmillan Press LTD., 1998, p.75.

(79) Ibid, p. 75.

(80) Бобровский, Павел Осипович , История Лейб Гвардии Преображенского полка, ТОМЪ ПЕРВЫЙ, Съ портретами, планами, изображеніями, автографами, С.-ПЕТЕРБУРГЪ: 1900, С. 259.

(81) Ibid, C.259.

(82) Боевая летопись русского флота: Хроника важнейших событий военной истории русского флота с IX в. по 1917 г, Азовские походы 1695–1696 гг, В Сайт "Военная литература", М.: Воениздат МВС СССР, 1948, http://militera.lib.ru/h/boevaya_letopis_flota/index.html.

(٨٣) تمركز خط الدفاع الأول عن نهر الدنيبر في جزيرة تاوان Tawan، فقد سيطر العثمانيون على أربع قلاع أساسية، أولها قلعة غازي كيرمان Kazi-Kermen على الضفة اليسرى لنهر الدنيبر، بالإضافة إلى قلعتي مبروك كيرمان Mubeurek-Kermen، وإسلام كرمان Islam-Kermen على الضفة اليمنى لذات النهر، وقلعة موسريت كيرمان Musrit-Kermen في جزيرة تاوان، وبلغ مجموع حاميات القلاع الأربعة ثلاثة آلاف رجل، مزودين بعدد من المدافع يتراوح أعدادهم من ستين إلى ثمانين مدفعا. انظر:

- Багро, Алёна Викторовна, Украинское казачество и первый Азово-Днепровский поход, Санкт-Петербург: 2015, С. 54.

(84) Боевая летопись русского флота: Хроника важнейших событий военной истории русского флота с IX в. по 1917 г, Азовские походы 1695–1696 гг, В Сайт "Военная литература", http://militera.lib.ru/h/boevaya_letopis_flota/index.html.

(85) Ibid.

(٨٦) وُلِد جوردون في أوشليوتشرز Auchleuchries باسكتلندا، نشأ وظل طوال حياته كاثوليكيا رومانيا، في وقت تعرضت فيه الكنيسة للاضطهاد في اسكتلندا، انخرط في السلك العسكري، وانضم عام ١٦٦١م إلى الجيش الروسي تحت قيادة القيصر ألكسي الأول، وفي عام ١٦٦٥ أُرسِلَ في مهمة خاصة إلى إنجلترا، وبعد عودته تميز في حروبه ضد العثمانيين والتتار في جنوب روسيا، وتقديرا لتفوقه عُين في القيادة العليا في كييف عام ١٦٧٩م، ثم شارك في الحملات الروسية ضد تتار القرم خلال عامي ١٦٨٧م – ١٦٨٩م، وحينما احتدم الصراع بين بطرس الأول وأخته صوفيا قرر جوردون الانضمام لصالح بطرس الأول، فحاز على ثقته، شارك في حملات آزوف خلال عامي ١٦٩٥-١٦٩٦، وتوفي جوردون في موسكو في ٢٩ نوفمبر ١٦٩٩م ودفن في الحي الأجنبي.

Encyclopedia Britannica, Volume 12, Gordon, Patrick, https://en.wikisource.org/wiki/1911_Encyclop%C3%A6dia_Britannica/Gordon,_Patrick (May 28, 2022).

(٨٧) قائد عسكري روسي حاز على ثقة بطرس الأول نظرا للصلة التي نشأت بينهم منذ حداثة سن الأمير الصغير، فعينه قائدا للمشاة، وعهد إليه بقيادة فوج حراس الحياة على الرغم من عدم امتلاكه قدرات عسكرية حقيقة، شارك في حملات بطرس الأول على آزوف، ثم شارك في حروب روسيا ضد السويد فأسر في موقعة نارفا Narva عام ١٧٠٠م؛ فحاول بطرس الأول مبادلته لكن ملك السويد شارل الثاني عشر Charles XII (١٦٩٧-١٧١٨) رفض ذلك، وظل متمسكا بموقفه حتى عام ١٧١٨م حينما استبدل جولوفين بالقائد رينشيلد Renschild، وبعد عودته إلى روسيا حصل في ١ يناير ١٧١٩م على وسام القديس أندرو من الدرجة الأولى St. Andrew، لكن سرعان ما توفي في ٣ يوليو ١٧٢٠م. انظر:

Владимир Богуславский "Славянская энциклопедия. XVII век". М., ٢٠٠٤, http://hrono.info/biograf/bio_g/golovin_am.php, (30 May 2022).

(٨٨) ولد في جينيف عام ١٦٥٦م، اهتمت أسرته بالأعمال التجارية، لكنه فضل الانخراط في السلك العسكري؛ فانضم عام ١٦٧٥م للعمل في الجيش الهولندي، ثم سافر إلى موسكو في العام التالي بصحبه العقيد البروسي جاكوب فان فروستن Jacob Van Frosten من أجل الحصول على عمل في الجيش الروسي، لكن طلبه قوبل بالرفض من قبل العسكريين الروس، لم ييأس ليفورت، واستقر في موسكو وحظي على احترام الأجانب المقيمين فيها، وفي يوليو ١٦٧٨م تقدم مرة أخرى بطلب للخدمة في الجيش القيصري، فقبل طلبه، وعين برتبة نقيب، شارك في الحرب الروسية العثمانية (١٦٧٦-١٦٨١م)، كما قام بمهام دبلوماسية مختلفة حتى خريف عام ١٦٨٥م، توطدت العلاقة بينه وبين بطرس الأول منذ عام ١٦٩٠م، وشارك في حملاته على آزوف، وفي عام ١٦٩٦م شارك في بعثات بطرس الأول الدبلوماسية إلى أوروبا، وعند عودته إلى موسكو عام ١٦٩٨م انتقل إلى قصر بني خصيصا له، عُرف لاحقًا باسم قصر ليفورتوفسكي، سرعان ما أصبح هذا القصر مركزا للحياة السياسية

والملكية الروسية في عامي ١٦٩٨-١٦٩٩؛ فقد اعتاد بطرس الأول عقد جميع اجتماعاته المهمة والعديد من الاحتفالات فيه، توفي ليفورت في موسكو في أوائل مارس ١٦٩٩م، وعند سماع بطرس نبأ وفاته أعرب عن أسفه قائلا: "الآن أنا وحدي بدون رجل واحد أثق فيه". انظر:

- Muskin, Adam, "Foreigners in Russia: Franz Lefort", https://russiapedia.rt.com/foreigners/franz-lefort/index.html, (30 May 2022).

(٨٩) قاد جوردون مفرزته التي تكونت من تسعة آلاف وخمسمائة شخص معهم ثلاثة وأربعون بندقية وعشرة من قذائف الهاون، وبلغت عدد قوات جولوفين سبعة آلاف مقاتل، بينما قاد ليفورت مفرزته التي تكونت من ثلاثة عشر ألف مقاتل ومعهم مائة وأربعة من قذائف الهاون. انظر:

- Хронологический указатель военных действий русской армии и флота, Т.1 (1695—1800), СПб.: 1908, С. 1.

(90) Ibid, С. 1.

(91) Janco, Andrew, op.cit., p.٩٠.

(92) Бобровский, op.cit., C.261-262, C.265.

(93) Ibid, C.266.

(94) Бобровский, op.cit., C.265.

(٩٥) سفينة مسطحة منخفضة بها شراع واحد أو أكثر وما يصل إلى ثلاثة مصارف من المجاديف ، تُستخدم أساسًا للحرب أو القرصنة استخدمت في البحر المتوسط منذ الألف الأول قبل الميلاد، واستخدمت على نطاق واسع في الدولة العثمانية ولاسيما حروبها ضد البندقية، استخدم القراصنة المسيحيون والمسلمون القوادس أيضًا في التجول بالبحر وفي مساندة القوى العظمى في أوقات الحرب، وتعد معركة ليبانتو عام ١٥٧١م واحدةً من أكبر المعارك البحرية التي لعبت فيها القوادس دورا مهما. لمزيد من التفاصيل انظر:

https://www.britannica.com/technology/galley-ship , (4 June 2022).

(96) Janco, Andrew, op.cit., p.٩٢.

(97) Хронологический указатель военных действий русской армии и флота, Т. 1 (1695—1800), С. ٢.

(98) Бобровский, op.cit., C.269.

(99) Janco, Andrew,op.cit., p.٩٢.

(100) Davies, Brian L., op.cit., p. 184.

(101) Бобровский, op.cit., C.271; Хронологический указатель военных действий русской армии и флота, Т. 1, С. ٢.

(102) Janco, Andrew, op.cit., p.95-96.

(103) Бобровский, op.cit., C.274.

(104) Davies, Brian L., op.cit., p. 184.

(105) Соловьев, С. М., Исторія Россіи, Т. XIV, кн. VII, М.: 1962, С. 597-598.

(١٠٦) كانت فورونيج Voronezh ، وكوزلوف Kozlov، ودوبري Dupri، وسوكولسك Sokolsk، من أشهر المراكز التي اتخذها بطرس الأول لبناء أسطوله.

(107) Davies, Brian L., op.cit., p. 186.

(108) Бобровский, op.cit., C.283.

انظر: ملحق رقم (٢)، صورة رقم (١).

(١٠٩) ÜNAL, Fatih, KARADENİZ'E ÇIKAN İLK RUS SAVAŞ GEMİSİ "KREPOST" VE UKRAİNTSEV'İN İSTANBUL ELÇİLİĞİ (1699-1700), Uluslararası Sosyal Araştırmalar Dergisi, Cilt: 5 Sayı: 20, 2012, S. 223.

(110) Davies, Brian L., op.cit., p. 184.

(١١١) يفصل أندرو جانكو تقسيم هذ القوات، فيشير أن جوردون قاد تسعة أفواج من المشاة وسبعة من الفرسان، وبلغ مجموع القوات التي تولى قيادتها نحو ثلاثة عشر ألفا وسبعمائة وأربعة وثمانون رجلا، وأن ليفورت رغم واجباته كقائد أعلى للأسطول قاد ثلاثة أفواج من المشاة بلغ مجموعهم أربعة آلاف رجل، وقاد جولوفين تسعة أفواج من المشاة بلغ مجموعهم ثمانية آلاف وخمسمائة وعشرون فردا، بالإضافة إلى ستة أفواج من الفرسان بلغ عددهم أربعة آلاف وتسعمائة وتسعة، في حين تولى ريجمان Rigman أحد أصدقاء جوردون المقربين سبعة أفواج من المشاة بلغ مجموعهم عشرة آلاف وأربعمائة وسبع وسبعون جنديا، هذا بالإضافة إلى عشرين ألفا من القوزاق. انظر:

- Janco, Andrew, op.cit., p97.

(١١٢) قائد عسكري روسي، قاد جده الأكبر ميخائيل شين Mikhail Shein القوات الروسية خلال حرب سمولينسك (١٦٣٢-١٦٣٤م)، وعندما هُزمت القوات الروسية اتُّهِم ميخائيل شين بالخيانة وأُعدِم، ونُفِيَت عائلته إلى مقاطعة سيمبيرسك Simbirsk، ولم يسمح لها بالعودة إلى موسكو إلا عام ١٦٤٢م، حاز ألكسي شين

على ثقة الأميرة صوفيا، وأصبح أهم القادة العسكريين في توبولسك Tobolsk وكورسك Kursk في الفترة من ١٦٨٠-١٦٨٤م، وشارك في حملات القرم خلال عامي ١٦٨٧ و١٦٨٩م، ثم عُين القائد الأعلى للقوات البرية الروسية خلال حملة آزوف الثانية ١٦٩٦. لمزيد من التفاصيل انظر:

- Седов, П. В., К истории ранней биографии «генералиссимуса» Алексея Семеновича Шеина, Петербургский исторический журнал: исследования по российской и всеобщей истории, № ٢(١٠), ٢٠١٦, С. ٦-١٦.

(113) Бобровский, op.cit., C.289.

(١١٤) تقع على الضفة اليمنى لنهر الدون في منطقة أكساي Aksay التابعة لرستوف أوبلاست Rostov Oblast، اشتهرت بأنها مركزا سياسيا وثقافيا لقوزاق الدون، واتخذت عاصمة لهم ما يقرب قرنين من الزمان، لكن بسبب فيضانات الربيع المنتظمة التي غمرت المدينة الصغيرة في عدة مناسبات، نقل القوزاق عاصمتهم إلى أرض مرتفعة في نوفوتشركاسك Novocherkassk في عام ١٨٠٥. انظر:

Starocherkasskaya page of Rostov governor site, https://web.archive.org/web/20071026190430/http://www.donland.ru/content/info.asp?partId=4&infoId=5174&topicFolderId=333&topicInfoId=0 (24 Mar. 23).

(115)Рубан, Василий Григорьевич, Поход боярина и большаго полку воеводы Алексея Семеновича Шеина к Азову, взятие сего и Лютика города и торжественное оттуды с победоносным воинством возвращение в Москву : С подробным описанием всех военнных и торжественных произшествий и с имянным списком бывших при том: сухопутных и морских, великороссийских и малороссийских, вышних и нижних военачальников числе всех войск и учиненным оным наград, санкт петербург: 1773, C. 85-89.

انظر: مخطط رقم (١) الموضح لحصار الروس لآزوف عام ١٦٩٦.

(116) Davies, Brian L., op.cit., p. 184.

(117)Рубан, Василий Григорьевич, op.cit., CC. 91-95.

(118) Janco, Andrew, op.cit., p.١٠٠-٩٩.

(119) Бобровский, op.cit., C.296-297.

(120) Fatih, op.cit., , S. 223.

(121) Janco, Andrew, op.cit., p.٣٩.

(122) Рубан, Василий Григорьевич, op.cit., C. ١٦٨-١٦٩.

(123) Соловьев, С. М., op.cit., C. 597-598.

(١٢٤) انظر ملحق رقم (٢)، نقش رقم (١)، ونقش رقم (٢).

(125) Бобровский, op.cit., C.298-300.

(١٢٦) مدينة في جنوب غرب روسيا على امتداد نهر فورونيج ، وتقع على بعد ١٢ كيلومترا من حيث تتدفق في نهر دون، أنشئت مدينة فورونيج الحالية في عام ١٥٨٦م من قبل فيودور الأول Feodor I (١٥٥٧- ١٥٩٨)؛ لتكون بمثابة حصن يحمي طريق مورافسكي Muravsky التجاري ضد غارات تتار القرم، بعد أربع سنوات أحرقها التتار، لكن أعيد بناؤها مرة أخرى، وسرعان ما أصبحت مكانا تجاريا مهما، أدرك بطرس الأكبر أهميتها، وفي عام ١٦٩٥ بنى فيها أسطولا من القوارب لغزو آزوف. انظر:

"Voronezh", Encyclopedia Britannica, Vol. 28 (11th ed.), 1910, https://en.wikisource.org/wiki/1911_Encyclop%C3%A6dia_Britannica/Voronezh_(town).

(١٢٧) تنازلت الدولة العثمانية بموجب هذ الصلح للنمسا عن ترانسلفانيا، وكرواتيا، وسلوفانيا، والمجر بكاملها باستثناء تمسوار Temeswar، وأن تحصل بولونيا عن بودوليا، أما البندقية فتحصل على شبة جزيرة المورة ومعظم أراضي دالمشيا؛ ولهذا دل هذ الصلح على مدى الضعف الذي وصلت إليه الدولة العثمانية. لمزيد من التفاصيل انظر:

- Quataert, Donald, The Ottoman Empire, 1700-1922, New Approaches to European History, Second Edition, Cambridge: Cambridge University Press, 2005, p. 38.

(١٢٨) مدينة تقع شرق شبة جزيرة القرم Crimea على مضيق كيرتش الذي يصل البحر الأسود ببحر آزوف، خضعت عام ١٤٧٥م للسيادة العثمانية، وكانت أحد المراكز الرئيسية لتجارة العبيد في شبة جزيرة القرم، تعرضت كثيرا لهجمات القوزاق ولاسيما قوزاق الزابورجيان. انظر:

- İnalcik, Halil, Servile Labor in the Ottoman Empire, p.39.

(129) YÜKSEL, Sinan, "Rusların Karadeniz Yönünde Yapmış Oldukları İlk Yayılma Faaliyetleri", S. ١١٣-١١٢ ؛ ÜNAL, Fatih, op.cit., S. 223.

(130) İnalcik Halil, The Middle East and The Balkans Under the Ottoman Empire, Essay on Economy and Society, Washington: 1993, pp. 391-393.

(١٣١) بعد انتصار بطرس الأول في آزوف ولى وجهه شطر السويد، وأراد أن يحطم الجدار السويدي الذي يحيط ببحر البلطيق، ويمنع روسيا من الوصول إلى غرب أوروبا، واستطاع تحقيق النصر على ملك السويد شارل الثاني عشر في معركة بولتوفا Pultowa في مايو ١٧٠٩م، وفر بعدها شارل الثاني عشر مع مجموعة صغيرة من قواته إلى الأراضي العثمانية، فاستقبله السلطان أحمد الثالث استقبالا طيبا، ومنحه مكانا على نهر الدنيستر ليتخذه مقرا لإقامته؛ ولهذا بذل دبلوماسيو بطرس الأول جهودا مضنية لدى السلطان العثماني لطرد ملك السويد من الأراضي العثمانية، لكنه رفض ذلك بشدة، وكان لتحريض الملك شارل الثاني عشر دورا في إعلان الدولة العثمانية الحرب ضد روسيا عام ١٧١٠م. انظر:

-Devlet Arşivleri Başkanlığı, TS.MA.e, ٥٦/٧٥٣, Cumhurbaşkanlığı Yayınları; 64,Cumhurbaşkanlığı Millet Kütüphanesi; 2, Türkiye Cumhuriyeti Cumhurbaşkanlığı, Devlet Arşivleri Başkanlığı Yayın No; 6, 2. Baskı: Ankara, 2021, S.48.

(١٣٢) يذكر جُل المؤرخين أن كاترين الأولى زوجة بطرس الأول -التي كانت تصاحبه في هذه الحملة- عندما رأت هزيمة الروس جمعت المجوهرات والنفائس التي في حوزتها، وحوزة الأميرات والوصائف وأرسلتها إلى الصدر الأعظم محمد بلطجي؛ فقبلها وعقد الصلح. انظر:

- Fowler, George, Turkey; or a History of the Origin, Progress and Decline of the Ottoman Empire, With Notes by: T. Spicer, Second Edition, London: T.H. Rees, 1854, p. 58.

(133) Marriott, J.A.R., The Eastern Question; an Historical Study in European Diplomacy, Oxford: Clarendon press, 1917, p. 120.

(134) Davies, Brian L., op.cit., p. xii.

(135) Khvalkov, Evgeny, Tana, a Venetian and Genoese Black Sea Trading Station in the 1430s: A Social and Economic History, MA thesis, Central European University, 2011, p. 2.

(136) Бобровский, op.cit., C.292.

(137) https://courses.lumenlearning.com/atd-herkimer-westerncivilization/chapter/peters-foreign-policy/, (21 May 2022).

(138) Adriaan Schoonebeek's Etching Manual (1698): Edition, Translation, Comments: Frans A. Janssen, Huigen Leeflang, Adri Markus, Ad Stijnman, University of Amsterdam; Rijksmuseum, Quærendo 40 (2010), P. 110.

(139) Бобровский, op.cit., C. 283.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: الوثائق المنشورة

1. DEVLET ARŞİVLERİ GENEL MÜDÜRLÜĞÜ, Osmanlı Arşivi Daire Başkanlığı, Yayın Nu: 21, Dîvân-ı Hümâyûn Sicilleri Dizisi: II, 5 NUMARALI MÜHİMME DEFTERİ (973 / 1565–1566), ANKARA: 1994.

2. DEVLET ARŞİVLERİ GENEL MÜDÜRLÜĞÜ, Osmanlı Arşivi Daire Başkanlığı, Yayın Nu: 54, Dîvân-ı Hümâyûn Sicilleri Dizisi: VII, 83 NUMARALI MÜHİMME DEFTERİ (1036-1037 / 1626–1628), ANKARA: 2001.

Devlet Arşivleri Başkanlığı, TS.MA.e, ٥٦/٧٥٣, Cumhurbaşkanlığı Yayınları; 64,Cumhurbaşkanlığı Millet Kütüphanesi; 2, Türkiye Cumhuriyeti Cumhurbaşkanlığı, Devlet Arşivleri Başkanlığı Yayın No; 6, 2. Baskı: Ankara, 2021.

ثانيا: المصادر الروسية

1. Бобровский, Павел Осипович, История Лейб Гвардии Преображенского полка, ТОМЪ ПЕРВЫЙ, Съ портретами, планами, изображеніями, автографами, С.-ПЕТЕРБУРГЪ: 1900.

2. Рубан, Василий Григорьевич, Поход боярина и большаго полку воеводы Алексея Семеновича Шеина к Азову, взятие сего и Лютика города и торжественное оттуды с победоносным воинством возвращение в Москву: С подробным описанием всех военнных и торжественных произшествий и с имянным списком бывших при том: сухопутных и морских, великороссийских и малороссийских, вышних и нижних военачальников числе всех войск и учиненным оным наград, санкт петербург: 1773.

ثالثا: المراجع العربية

١. يلماز أوزوتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سليمان، مراجعة وتنقيح محمود الأنصاري، الطبعة الأولى، المجلد الأول، إستانبول: منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، ١٩٨٨.

رابعا: المراجع الأجنبية

1. Bideleux, Robert, Jeffries, Ian, Jeffries, A History of Eastern Europe: Crisis and Change, London, 1999.

2. Boeck, Brian J., "The Siege of Azov in 1641: Military Realities and Literary Myth", in Warfare in Eastern Europe, 1500-1800, Leiden: Brill, 2012.

3. Creasy, Edward Shepherd, History of the Ottoman Turks: From the Beginning of their Empire to the Present Time, London: Richard Bentley and Son, 1877.

4. Davies, Brian L., Warfare, State and Society on theBlack Sea Steppe, 1500–1700, First published, London: Routledge, 2007.

5. Dukes, Paul, A History of Russia Medieval, Modern, Contemporary C.882-1996, Third Edition, London: Macmillan Press LTD., 1998.

6. Fowler, George, Turkey; or a History of the Origin, Progress and Decline of the Ottoman Empire, With Notes by: T. Spicer, Second Edition, London: T.H. Rees, 1854.

7. Ignace, Antoine, Essai historique sur le commerce et la navigation de la Mer Noire, Paris: chez H. Agasse, imprimeur-libraire, 1805.

8. Imber, Colin, The Ottoman Empire, 1300-1650: The Structure of Power, Third Edition, London: Red Globe Press, 2019.

9. İnalcik Halil, The Middle East and The Balkans Under the Ottoman Empire, Essay on Economy and Society, Washington: 1993.

10. Marriott, J.A.R., The Eastern Question; an Historical Study in European Diplomacy, Oxford, Clarendon press, 1917.

11. O'Rourke, Shane, Warriors and Peasants the Don Cossacks in Late Imperial Russia, first published, Oxford: ST Antony's College, 2000.

12. Rambaud, Alfred, Russia, Translated by: Lang, Leonora B. and Saltus, Edgar, Vol.1, New York: Peter Fenelon Collier, 1898.

13. Roemer, H. R, "The Safavid Period", Cambridge: Cambridge University Press, 1986.

14. Witzenrath, Christoph, Cossacks and the Russian Empire, 1598-1725: Manipulation, Rebellion and Expansion into Siberia, Routledge studies in the History of Russia and Eastern Europe, 1st Edition, 2007.

خامسا: الدوريات الأجنبية

1. Ágoston, Gábor, Military Transformation in the Ottoman Empire and Russia, 1500–1800, Kritika: Explorations in Russian and Eurasian History, Slavica Publishers, Volume 12, Number 2, Spring 2011 (New Series).

2. Altbauer, Dan, "The Diplomats of Peter the Great", Jahrbücher für Geschichte Osteuropas, Neue Folge, Bd. 28, H. 1 (1980).

3. Canbakal, Hülya, "The Ottoman State and Descendants of the Prophet in Anatolia and the Balkans (c. 1500-1700)", journal of the Economic and Social History of the Orient, Vol. 52, No. 3, 2009.

4. Fisher, Alan W., "Azov in the Sixteenth and Seventeenth Centuries", Jahrbücher für Geschichte Osteuropas, Neue Folge, Bd. 21, H. 2, 1973.

5. Given, john, The Fragmentary History of Priscus: Attila, the Huns and the Roman Empire, AD 430–476, Christian Roman Empire Series, Vol.11, New Jersey: Evolution Publishing, 2014.

6. Guilmartin, John F., "Ideology and Conflict: The Wars of the Ottoman Empire, 1453-1606", The Journal of Interdisciplinary History, Vol. 18, No. 4, The Origin and Prevention of Major Wars (Spring, 1988).

7. Inalcik, Halil, "Servile Labor in the Ottoman Empire" in: The Mutual Effects of the Islamic and Judeo-Christian Worlds: The East European Pattern, Brooklyn: Brooklyn College, 1979.

8. Janco, Andrew, p., Training in The Amusements of Mars: Peter The Great, War Games and The Science of War 1673-1699, Russian History, Vol. 30, No.1-2, (Spring- Summer 2003).

9. Lemercier-Quelquejay, Chantal, "Un condottiere lithuanien du XVIe siècle: le prince Dimitrij Viãneveckij et l'origine de la Sei Zaporogue d'après les Archives ottomans", Cahiers du Monderusse et soviétique,Vol. 10, N. 2, Avril-Juin 1969.

10. Pubblici, Lorenzo, "Venezia e il Mar d'Azov: alcune considerazioni sulla Tana nel XIV secolo", Archivio Storico Italiano, Vol. 163, No. 3, 2005.

11. Quataert, Donald, The Ottoman Empire, 1700-1922, New Approaches to European History, Second Edition, Cambridge: Cambridge University Press, 2005.

12. SÖYLEMEZ, Yavuz,"OSMANLI SARAYINDA KATLEDİLEN BİR KIRIM HANI: İNAYET GİRAY HAN",Karadeniz Araştırmaları XIV/55 - Güz 2017.

13. ÜNAL, Fatih, KARADENİZ'E ÇIKAN İLK RUS SAVAŞ GEMİSİ "KREPOST" VE UKRAİNTSEV'İN İSTANBUL ELÇİLİĞİ (1699-1700), Uluslararası Sosyal Araştırmalar Dergisi, Cilt: 5 Sayı: 20, 2012.

14. YÜKSEL, Sinan, "Don Kazaklarının Azak'ı İşgalleri (1637-1642)", Tarih Araştırmaları Dergisi, Cilt 30, Sayı 49, 2011.

15. ___, "Rusların Karadeniz Yönünde Yapmış Oldukları İlk Yayılma Faaliyetleri (18. Yüzyılın Başlarına Kadar)", Sosyal Bilimler Dergisi, SDÜ Fen Edebiyat Fakültesi, Sayı: 28, Nisan 2013.

16. Zhyvachivskyi, Andrii, "The Governors of Kefe and Azak in Ottoman-Muscovite Relations in The Fifteenth- Seventeenth Centuries and The Issue of Titulature", Acta Poloniae Historica, No.115, 2017.

1. Багро, Алёна Викторовна, Украинское казачество и первый Азово-Днепровский поход, Санкт-Петербург: 2015.

2. Гайворонский, Олекса, Повелители двух материков. Том II: Крымские ханы первой половины XVII столетия в борьбе за самостоятельность и единовластие, Киев-Бахчисарай; 2009.

3. НИКИТИН, Н.И., " Азовская эпопея 1637—1641 гг. и её последствия", Военно-исторический журнал, № 9, 2015.

4. Новосельский А. А., Борьба Московского государства с татарами в первой половине XVII века, М.: Издательство Академии Наук СССР, 1948.

5. Попов М., Азовская оборона (страница из истории донского казачества XVII в.), Исторический журнал, №3, 1945.

6. Соловьев, С. М., Исторія Россіи, Т. XIV, кн. VII, М.: 1962.

7. Тихонов Ю. А., "Азовское сидение", Вопросы истории, № 8, 1970.

8. Хронологический указатель военных действий русской армии и флота, Т.1 (1695—1800), СПб.: 1908.

سادسا: الموسوعات الأجنبية

1. Minns, E.H., "Bosporus Cimmerius", Encyclopedia Britannica, Vol. 4, Cambridge University Press, 1911.

سابعا: مواقع شبكة المعلومات الدولية

1. Oleksander Ohloblyn, Acting hetman, the Encyclopedia of Ukraine, vol. 1 (1984) http://www.encyclopediaofukraine.com/٢٥ (September 2022).

2. Pereyaslav Agreement, Encyclopedia Britannica, https://www.britannica.com/event/Pereyaslav-Agreement (15 September 2022).

3. Starocherkasskaya page of Rostov governor site, https://web.archive.org/web/20071026190430/http://www.donland.ru/content/info.asp?partId=4&infoId=5174&topicFolderId=333&topicInfoId=0 (24 Mar. 23).

4. Боевая летопись русского флота: Хроника важнейших событий военной истории русского флота с IX в. по 1917 г, Азовские походы 1695–1696 гг, В Сайт "Военная литература", М.: Воениздат МВС СССР, 1948, http://militera.lib.ru/h/boevaya_letopis_flota/index.html.